الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة آكلي محند أولحاج– بالبويرة

معهد اللغات والأدب العربي.

قسم اللغة والأدب العربي.

الهوية اللّغوية مكوّنا للشخصية الجزائرية

روافـــدها وواقعهـــا

مذكـــرة مقـــدمة لنيل شـــهادة الليـــسانـــس

في اللغة و الأدب العربي

إشراف الأستاذ:

– إلياس جوادي.

إعداد الطالبتين:

✓ دليلة زوبير.

✓ مليكة غيـــار.

السنة الجامعية : 2012/2011

إهداء

إلى من ربتني و كبرتني و سهرت الليالي من أجلي

إلى من كان حبها زادي و عمادي

إلى من قاسمتني حرقة قلبي و أهات عمري

إلى من كنت أختمي بدعائها الخالص و حنانها

إلى "أمي " حبيبة عمري

إلى الذي تعب من أجلي و منحني الأمان "أبي"

إلى من زرعت في قلبي روح التحدي و الاجتهاد

أختي الحبيبة الحنونة الغالية على قلبي "نادية"

إلى زهرة الصباح أختي البشوشة "ججيقة"

إلى أخي الذي وقف إلى جانبي في جميع الظروف"سفيان"

إلى صغير العائلة الذي ملأ البيت بهجة و سرورا أخي "نبيل"

إلى الذي أنار دربي المظلم و سقاني بالرعاية و الاهتمام

إلى من كان يهتف باسمي كلما ذكر العلم و الاجتهاد

إلى مؤنسي و مشجعي الواقف معي في السراء و الضراء زوجي العزيز" خالد"

إلى رفاقي الدرب و أخلاء الروح و أشقاء النفس دليلة- كاميليا- فتيحة

إلى عائلة زوجي من كبيرهم إلى صغيرهم

إلى كل من يحبني و يحس بوجودي

إليهم جميعا أهدي هذا العمل

أسأل الله أن يحفظهم و يديم لهم الصحة و العافية

مليكة

إهداء

إلى التي قال فيها خاتم الأنبياء الجنة تحت أقدام الأمهات

إليك أمي يا واهبتي الحياة،يامانحتي الفرح لن أنسى جميلك

لأني أري تاج الحياة على جبينك و وسام العطف على صدرك و قلادة الحب في عنقك

يا أمي الحنون.حفظها الله و أطال عمرها

إلى روح أبي الطاهرة رحمه الله

إلى من عوضوني حنان الأب و كانوا سندا لي في هذه الحياة و منحوني الثقة و الأمل و الاطمئنان إخوتي الأعزاء

رابح و زوجته عتيقة

أحسن و زوجته رزيقة

علي-يوسف-فريد

إلى أغلى ما أملك في هذه الحياة أخواتي الأعزاء

مليكة،فتيحة،نسيمة،فريدة

إلى الكتكوتتين اللتان أضاءتا البيت :إكرام و مروى

إلى أشبال العائلة:

رابح،زكريا،عبد الرحمان،عبد الله

إلى زهرات العائلة

صفية،أسماء،مريم ،سومية،خديجة،سميرة،شيماء،سارة،خولة،يسرى،نور الهدى

إلى أعز صديقاتي و رفيقاتي و أخص بالذكر مليكة القريبة إلى قلبي و جميلة و وردة،أمال و كل من مد لي يد العون و ساعدني من قريب و من بعيد

إلى كل من حط على شاطئ قلبي و لم أقدر أن أخط اسمه في حجر بياض هذه الورقة

دليلة

مقدمة

إن موضوع الشخصية اللغوية و تميّزها و كيفية تكونها ذو درجة بالغة الأهمية و من أهم الدراسات التي تناولها الباحثون حديثا لأنها هي الأساس الذي تقوم عليه المجتمعات و تنهض به الأمة فلما كان لكلّ شخص شخصيته و هويته التي تميزه عن غيره وبدونها يتحول الإنسان إلى كائن فارغ تابع , و كما أن لهذه الشخصية عدة مقومات تقوم عليها و هي اللغة العربية و الدين الإسلامي ووحدة الرقعة الجغرافية و كما نجد أن الشخصية الجزائرية هي امتزاج بين عنصرين العنصر البربري والعربي الإسلامي , إلا ّأن هذه المقومات تزلزلها وقائع نعيشها في حياتنا الراهنة و بعضها امتداد من زمن الاستعمار و أول ما يظهر في هذا الواقع أنه يتميز بأربع أنساق لغوية منتشرة في المجتمع الجزائري بدل اثنين و هي اللغة الفرنسية رغم أن انتشارها يخص بعض الدوائر الضيقة . اللغة العربية الفصحى واللغة الأمازيغية وفق تفرعاتها الجهوية و اللهجة الدارجة و نلاحظ نفور من اللغة العربية الفصحى وتراثها بحجة أنها لا تصلح للتعليم بسبب بعدها عن العلوم و التكنولوجيا و مصطلحاتها المعقدة فهي فهي أعجز من أن تعبر عن تطورات الحضارة فأصبحت الفرنسية اللغة المستعملة في المؤسسات الإدارية وحتى المؤسسات التعليمية و من هنا تظهر الازدواجية اللغوية التي تجعل الفرد في قلق لغوي مستمر وتظهر ظاهرة الضعف التي تنهش اللغة العربية الفصيحة شيئا فشيئا دون أن تكون هناك مساهمات فعالّة في حماية اللغة العربية من الوضع الذي وصلت إليه , بعد ما كانت لغة يعتز بها العربي إذ كانت رمز اللهوية الوطنية .

فما هي المراحل التاريخية للهوية اللغوية التي ساهمت في تطوير و تكوين الشخصية الجزائرية؟ و ما هو الواقع الذي آلت إليه الشخصية اللغوية و العوامل التي ساهمت في ذلك؟

و للإجابة على هذه الأسئلة قسّمنا عملنا هذا إلى فصلين اثنين هما:

و قبل الولوج في الفصلين مهدنا الحديث عن مفهوم الشخصية القومية و كذا مفهومها من الناحية السيكولوجية و مفهوم الشخصية و الهوية الجزائرية و أهم المقومات التي تقوم عليها.

الفصل الأول: مراحل الهوية اللغوية في تكوين الشخصية الجزائرية. و قد قسمناه إلى أربعة مباحث تحدثنا في المبحث الأول عن بداية الحضارة في الجزائر أي كيف بدأت تتشكل ملامح الحضارة في الجزائر وعرّجنا في المبحث الثاني إلى ذكر العهد الإسلامي و المراحل التي بها خلال حكمه في الجزائر, و المبحث الثالث مشاريع الاستعمار الفرنسي في تشويه الهوية أي محاولته لطمس

معالم الهوية و الشخصية الجزائرية وأكملنا الفصل بالحديث عن الدفاع عن اللغة العربية التي حاول الاستعمار محوها.

الفصل الثاني : مآلات الواقع . الذي يحتوي هو أيضا على أربعة مباحث حيث تناولنا في المبحث الأول واقع اللغة في المجتمع الجزائري و تطرقنا فيه إلى واقع اللهجات المحلية من عامية و أمازيغية إضافة إلى واقع اللغة العربية الفصحى و اللغة الفرنسية ثم بيّنا الضعف اللغوي عموما الذي يعود إلى القرون الماضية ممتدا إلى الحاضر و العوامل التي ساهمت في هذا الضعف بعدها انتقلنا إلى التحدث عن الازدواجية اللغوية في مبحث ثالث التي عرّفناها بأنها القدرة على استعمال نظامين لغويين مختلفين و في المبحث الرابع نظرنا في مدى مساهمة التعريب في تطور اللغة العربية من خلال استعمال العرب لألفاظ موضوعة لمعان في غير لغتهم بعد كتابتها بالحروف العربية فالكلمة تكون أعجمية في الابتداء, عربية في الانتهاء و ختمنا هذه المذكرة بأهم النتائج التي توصلنا إليها .

و قد اعتمدنا في إنجاز هذا العمل على مصادر و مراجع أهمها عبد الرحمن بن جيلالي – تاريخ الجزائر العام و كذا أبو القاسم سعد الله – تاريخ الجزائر الثقافي.

و قد واجهتنا عدة عراقيل أثناء إنشاء هذه المذكرة و خاصة في جمع مادتها العلمية التي تتمحور حول الشخصية اللغوية الجزائرية، و ذلك لنقص المراجع و عدم توافرها و قلتها.

و لا ننسى بالذكر شكر المشرف المحترم إلياس جوادي الذي أفادنا كثيرا بتوجيهاته التي ساعدتنا كثيرا في إنجاز هذه المذكرة.و الله وليّ التوفيق.

مدخل

يعتبر المستشرقون من علماء الغرب من اسبق الناس لدراسة الشخصية القومية للأمة العربية في تراثها الفكري و الثقافي و الحضاري و الديني ،وقد شملت دراستهم جميع مكونات هذه الشخصية من الجوانب الدينية و الاجتماعية و النفسية و الثقافية و اللغوية و غيرها ، وكان الهدف من ذلك هو التغلغل في أعماق أغوار الإنسان من اجل معرفة مواطن قوته و مواطن ضعفه و فهم النواحي الايجابية والسلبية في شخصيته وقد كانت النواحي السلبية دائما تمهيدا للسيطرة و الاحتلال ويلاحظ أن دراسات المستشرقين للشخصية العربية أصبحت مرجعا لا غنى عنه لكل من يريد فهم الشخصية العربية ومكوناتها ومعرفة خصائص الثقافة العربية و مميزاتها, لكن بشيء من التحفظ و التثبت عند النقل من مؤلفاتهم .

مفهوم الشخصية القومية للجماعة (لغة و اصطلاحا):

تعتبر الشخصية اللغوية من أهم الدراسات التي تناولها الباحثون حديثا فهي إذا كلمة حديثة الاستعمال من الناحية اللغوية و لذلك لا يجدها الباحث في أمهات قواميس اللغة العربية القديمة واستعمالها قائم على معنى كل ما في الفرد مما يؤلف شخصه الظاهر القائم الذي يري من بعيد وهي مشتقة من كلمة الشخوص أي الظهور و التبدي أمام الآخرين وقد عرّفها القاموس الوسيط[1] على النحو التالي :" يقال شخص الشئ شخوصا ارتفع وبدا من بعيد ... والشخص كل جسم له ارتفاع و ظهور، و غلب في الإنسان، جمع أشخاص و شخوص

أما الشخصية: فهي صفات تميز الشخص من غيره و يقال فلان لا شخصية له ليس فيه ما يميزه من الصفات الخاصة (وهي صفة محدثة) و منه البطاقة الشخصية بطاقة رسمية تبين صفات الشخص و صورته[2] لإثبات هويته ويلاحظ أن كلمة شخصية في اللغات الأوروبية تدل على الأدوار التي يؤديها الشخص أمام ناظريه على خشبة المسرح و من هنا فإننا لا نجد اختلاف معناها في اللغة العربية عنه في اللغات [3] الأوروبية بكثير .

ومن هذا المعنى نميز شخصا عن شخص آخر. جاء مدلول الشخصية القومية للجماعة حيث تختلف جماعة عن أخرى باختلاف مقومات شخصيتها القومية كاللغة و التاريخ و الثقافة و الرقعة الترابية وغيرها من المقومات الأخرى.

أما من الناحية الاصطلاحية فان تعبير الشخصية يحمل معاني متعددة ،فهو مفهوم معقد متغير، يصعب علي الباحثين فيه أن يتوصلوا إلى إطار ثابت ينتظم جميع مقوماته ، أو يتفقوا على تعريف ثابت له وهذا هو السبب في اختلاف وجهات نظر العلماء الذين يتناولون بالبحث

---

1 من إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة في مجلدين مطبعة مصر سنة 1960.

2 المرجع السابق ج1 ص78.

3 ا- أحمد فالق ،و محمود عبد القادر ،مدخل في علم النفس العام لأنجلو المصرية سنة 1972ص412

موضوع الشخصية ... وقد أعطى ألبورت تعريفا لها حيث يرى أنها هي ذلك " التنظيم الديناميكي للأنساق النفس جسمية في الفرد ، التي تحدد تكيفانه الخاصة مع محيطه وفي شرحه لهذا التعريف يوضح أن " الشخصية هي عبارة عن شئ و تحدث في الفرد أشياء في نفس الوقت " فهي ليست مرادفة للسلوك أو النشاط بل هي الشيء المستتر وراء الأفعال الخاصة بالفرد إضافة إلى هذا التعريف أعطى لنا أكثر من خمسين تعريفا للشخصية في اللغات الأجنبية . و الباحث لا يحب الدخول في تفاصيل و مدلولات هذه التعاريف و مناقشة أصحابها لأن ذلك سوف يخرج به عن إطار هذه الدراسة وهو لا يتناول الشخصية من وجهة نظر علم النفس وإنما يتناولها من وجهة نظر علم الاجتماع ، و الانثروبولوجية ضمن إطار علاقتهما بالتربية و التعليم التي تعالج الشخصية.

باعتبارها أحد العمد الأساسية التي تقيم الحقيقة الاجتماعية للجماعة ولذلك فان علماء الاجتماع يرون أن الشخصية هي نتاج التفاعل [1] الاجتماعي و أن مكوناتها تقوم جميعا علي أسس ثقافية واجتماعية و لهذا كانت دراسة الشخصية لا يمكن أن تكون كاملة بدون دراسة الثقافية و المجتمع فالمجتمع هو المكان الذي يتم فيه التفاعل و الثقافة هي التي تصب هذا التفاعل في قوالب معينة و تعطي للفرد أنماط السلوك ومختلف القيم و المعايير التي يحسن بها التفاعل ويحقق أغراضه وقد وقد عرّفها بسانز بأنها "تنظيم يقوم علي عادات الشخص و سماته و تنبثق من خلال العوامل البيولوجية و الثقافية [2] و يلاحظ أن الشخصية ليست جزءا من الفرد قابلة للعزل كاليد أو الذراع أو العين ... مثلا بل هي عبارة عن مجموع سماته التي تميزه عن غيره من الأشخاص و علي غرار شخصية الفرد تكون شخصية الجماعة فهي كذلك غير قابلة للعزل لأنها مفهوم ثقافي [3] قبل كل شيء .

أما مفهوم الشخصية القومية للجماعة في هذه الدراسة فان الباحث يقصد به الخصائص و المميزات التي تختص بها جماعة معينة في زمان و مكان معينين عن غيرها من الجماعات الأخرى وهي تتمثل في جملة من القوميات الأساسية.

الشخصية بالمفهوم السيكولوجي :

هي ذلك الكل المتكامل من الصفات التي تحدد نمط سلوك الفرد وتميزه عن غيرها فإذا كان للفرد صفات من شأنها أن تحدده و تميزه عن غيره

و الحديث عن تعدد شخصيات الأفراد يقودنا كذلك إلى الحديث عن تعدد شخصيات المجتمعات فإذا كنا نميز بين زيد وعمر و بصفاتهما الجسمية والنفسية و الاجتماعية و الذهنية ،

---

1 -عثمان فراح ،أضواء على الشخصية و الصحة العقلية ،مكتبة النهضة المصرية سنة 1970 ص5.

2 برنارد نوتك لت ،سيكولوجية الشخصية ،ترجمة صلاح مخيمر وعبده ميخائيل رزق دار الطباعة الحديثة ، القاهرة.

3 أبو الفتح رضوان القومية العربية، ط2 دار الثقافة سنة 1959 ص 1،2 .

فكذلك يمكننا تمييز شخصية المجتمعات بثقافتها و معارفها و عاداتها و تقاليدها و اقتصادها و غيرها من الصفات التي تجعلنا مثلا : نميز بين المجتمع الجزائري و المجتمع الفرنسي .

إن هذا التصور رغم اختلاف المذاهب الفلسفية و النظرية العلمية في مختلف الحقول المعرفية إلا أن جلّ الدراسات تميل إلى التسليم بهذه الحقيقة.

فإذا سعينا إلى الدراسة في الحقول السيكولوجية نجد أن علم النفس الكلاسيكي أو المعاصر يؤكد أن بنية شخصية الفرد لا تكتسب بفعل الوراثة فقط حيث وعيه بمحيطه قد يكسبه استجابات معينة تجعله يتميز عن غيره وهذا ما نجده مطروحا بوضوح عند النظرية الترابطية التي ترى أن كل سلوكات الفرد ماهي في الأصل إلاّ مجرد استجابة لمنبهات أو مثيرات . هذه النظرية استوحت هذه الفكرة من نظرية المنعكس الشرطي للعالم الروسي "بافلوف"

فشخصية الفرد عند الترابطيين تتشكل وفق البيئة التي يعيش فيها.وهذا ما جعل رائد هذه المدرسة العالم الأمريكي "واطسون" يقول "أعطوني عشرة أطفال من أطفال أصحاء أسوياء التكوين ،فسأختار أحدهم جزافا ثم أدربه ،فأصنع منه ما أريد ، طبيبا ،أو فنانا ،أو عالما ، أو تاجرا ، أو لصا أو متسولا وذلك بغض النظر عن ميوله و مواهبه ، أو سلالة أسلافه "

من جهتها مالت مدرسة التحليل النفسي إلى تأكيد هذا المعطى الاجتماعي في تشكيل بنية شخصية الفرد "فرويد" [1]

ير ي أن كل سلوكيات الإنسان ناتجة عن دوافع لا شعورية و عقد نفسية تبدأ تتشكل منذ بداية نمو الفرد و يعبر عن ذلك بوضوح أكثر من خلال افتراضية الجهاز النفسي المتكون من ثلاث بني :

عضوية متمثلة في الهو والانا و الأنا الأعلى .و هذه الأعضاء الثلاثة يفطر عليها الإنسان إلاّ أنها تتأثر بفعل المحيط الاجتماعي ،حيث أن ألهو تمثل تلك الرغبات و الميولات و الغرائز . ويأتي الأنا الذي يمثل الجانب الواعي في الإنسان . يحاول تحقيق تلك الرغبات لكنه يحافظ على عدم إغضاب الأنا الأعلى . فهذا الجانب الواعي المتمثل في الأنا يتشكل بفعل تأثير التكوين الاجتماعي وما يمكن أن يكتسبه الإنسان في تربيته من معارف و خبرات أما الأنا الأعلى فهو يمثل كل الممنوعات من مبادئ أخلاقية و عادات وأعراف وغيرها التي تبذل جهدها في كبح جموح الهو فما يكون من دور الأنا ، إلا التوسط و إرضاء الطرفين . فنلاحظ أن الأعضاء الثلاثة المشكلة للجهاز النفسي الذي يحدد نمط شخصية الفرد مرتبطة بالمحيط الاجتماعي و خبرات الإنسان وإذا كان هذا الخطاب السيكولوجي يقوم على جعل شخصية الفرد تمتاز بطابع

1 وينفر يد هوبر ،مدخل إلى السيكولوجية الشخصية ص 15،16 .

الفردية ، فانه لا ينكر تأثرها بمحيطها الاجتماعي فان الخطاب السوسيوثقافي يجعل من الشخصية منتوجا اجتماعيا .

ف"دوركايم" يتصور أن الظواهر السوسيولوجية تتسم بالسلطة والقهر ،ومن ثمة لا يستطيع الفرد أن يجيد عنها دون أن يتعرض لضغط آليات الضبط الاجتماعية ، فيما يري "جي روشي" أنه لكي يندمج الفرد بشكل مناسب فان المجتمع يقوم ببناء الشخصية عن طريق التنشئة الاجتماعية و ذلك بواسطة مؤسسات اجتماعية تقوم بتكييف الفرد مع النظم الاجتماعية و القيم الأخلاقية المقبولة .

هكذا يتضح من خلال هذه التصورات أنه لا يمكن تصور بناء شخصية خارج محيطها لكن ذلك ينعكس أيضا على الشخصية الاجتماعية حيث أن المجتمع يعبر عن شخصيته من خلال ذلك السلوك الجماعي لأفراده كما أن عقيدة أفراد المجتمع تشكل الشخصية الدينية لهذا المجتمع أو ذاك . إن الشخصية سواء أكانت فردية أم جماعية فان وجودها مرتبط بغيرها فلا يوجد تكوين من العدم. فالفرد يستمد تكوين شخصيته من الجماعة عن طريق التربية و التعليم و الاتصال و التواصل و تبادل الأفكار و المصالح وكذا المجتمع يستمد تكوين شخصيته من أفراده حيت يتأثر بتطورهم و تقهقرهم.

الهوية اللغوية:

الهوية في معناها العام هي الذاتية و الخصوصية، وهي جماع القيم و المثل و المبادئ التي تشكل الأساس الراسخ للشخصية الفردية أو الجماعية. الهوية من الضمير هو فيقال: من هو فلان ؟ سؤال عن شخصه و خصاله وفرادته و انتمائه ولغته . وهي كما يعرفها الباحثون "مجموعة الخصائص و المميزات التي ينفرد بها فرد أو شعب أو أمة والتي تتوارث عن ماض ذي تاريخ وتراث وبما في التراث من لغة ودين ،وما للأمة من انتصارات و انتكاسات و طموحات وانتماءات و خصائص تجعل من ينتمي إليها ذا ذاتية متميزة عن غيره فيصبح و يبقى هو ذاته و نفسه ، و يكون بهذا قد أعطى الجواب عن السؤال (من هو؟) وان هوية الفرد في عقيدته و جنسه و أرضه و لغته و ثقافته و حضارته و تاريخه و الروح المعنوية و الجوهر الأصيل للكيان الوطني و المصالح المشتركة و بذا نرى أن الهوية تتنامى ولا تتمثل فقط في اللغة أو العرق أو الحّيز الجغرافي ، فهي أبعد من هذا، حيث تتجاوز من يربطها باللغة و المنطقة الجغرافية .

الهوية الجزائرية مستنتجة من الهوية المغاربة التي لها امتداد تاريخي كبير تعود جذوره إلى أكثر من ثلاثة ألاف سنة ، وهي الفترة الأمازيغية الموسومة بعهد ممالك البربر .وهذه الفترة كان لها ازدهار وانتكاس، ولكن الفترة التي أخرجت هذا المجتمع من الظلم و التعسف هي فترة دخول الإسلام هذه الأراضي، و تعود إلى الفتح الإسلامي أين ظهرت أقطاب الهوية

الوطنية في: الأرض و الحضارة و اللغة و الدين. تكون الأرض في المقام الأول الذي وجدت فيه الحضارة في معناها الثقافي المتراكم عبر الأجيال إلى جانبها الدين الإسلامي.

معنى الهوية اللغوية :

أعني بها اللسان الناطق به دائما قديما و حديثا المستعمل في المعاملات العامة و الخاصة و على اعتبار أن اللغة ليست وسيلة اتصال فقط.بل أداة عمل و مرجعية و عقيدة و ثقافة و دين و حضارة . والحضارة في مفهومها العام تعني مجموع الانجازات المادية و المعنوية التي تشكل نظام المجتمع المتحضر فهي لا تنفصل عن الثقافة ، و الثقافة ترتبط بالقيم باعتبارها العنصر المتحرك في الهوية . لأنها البنية الحاكمة لجميع البنيات الفرعية ،و لأنها قائمة على التطور و ينتج عن هذا الترابط وحدة النسق الحضاري والثقافي و التي تعكس وحدة النسق القيمي ، ومن هنا نرى أنه لا تكون للذات هوية . إلا إذا توافرت لديها خصائص الوحدة و الثبات في الهوية اللغوية، و أما الدين فهو ثابت لا جدال فيه.

و لا تعني الوحدة اللغوية إلغاء الخصوصيات التي تقرّها الأعراف اللسانية وهو حق من الحقوق في التنوع الثقافي داخل القطر الواحد و قاعدة من قواعد القانون الدولي الذي تزكيه القوانين الأممية ومواثيقها ، و يقرّ لها العرف العام عندما تتعايش أو تتحدد ميادين كل لغة من اللغات.

ما هي هويتنا ؟

مما لا يماري فيها أن هويتنا تظهر في الموطن و اللسان و العقيدة و الحضارة ، وهنا لا يمكن أن نقفز فوق تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ذات المصدر الإلهي ، فهي التي أقامت لنا كياننا الحر ، والإسلام لم يحارب اللغة أو الهوية بل طرد الغزاة و الوثنية ، و فتح للاما زيغي باب البحث عن اختيار حرّ كما أن الإسلام لم ينكر ما أثبته التاريخ بأن الأصل أصل، و الفرع فرع و الإسلام هو الذي علمنا التمسك بالآنية التي تعطي مستوى النديّة . كما أن التوازن الذي يعيشه الإنسان الجزائري توازن الإسلام وقيمه، و الانفتاح الرحب على الحضارات و اللغات. والمهم بالنسبة لنا أن يكون التمييز بين الثابت من المتحول والأصيل من الدخيل وبهذا يمكن التمييز بين ما هو دخيل مرفوض وما هو دخيل مقبول.[1]

الهوية الثقافية:

هي مجموعة الخصائص و المميزات التي ينفرد بها فرد أو شعب أو أمة و التي تتوارث عن ماض ذي تاريخ و تراث ، و بما في التراث من لغة و دين ، وما للأمة من انتصارات و انتكاسات و طموحات وانتماءات و خصائص ، تجعل من ينتمي إليها ذا ذاتية متميزة عن غيره

1 صالح بالعيد،الهوية الوطنية دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع 2007 ص107 .

، فيصبح و يبقى هو ذاته و نفسه ويكون بهذا قد أعطى الجواب عن السؤال (من هو؟) 1 . و إن هوية الفرد في عقيدته و جنسه و أرضه ولغته و ثقافته و حضارته و تاريخه و الروح المعنوية و الجوهر الأصيل للكيان الوطني و المصالح المشتركة. و هكذا عرف مجتمعنا المغاربي الهوية الاجتماعية التي تكونت عبر عصور ضاربة في القدم. امتزج فيها سكان المغرب (الأمازيغ) بالمهاجرين نسجا محكما ، و طبع هذا النسيج الاجتماعي طابعا خاصا ، انتموا إلى العروبة اللسانية فظلّوا أوفياء لقوميتهم الوطنية ، و حين اقتبسوا الحضارة الغربية لم يقبلوا أن يخضعوا للنموذج الغربي بكل تفاصيله.

بل حافظوا على التقاليد و الأنظمة التي اعتبروها تمثّل خصوصياتهم و ظلّ هذا المجتمع ملتزما بنموذجه وكان من خصائصه التفتح و المرونة والشفافية و عدم الانغلاق في ظل هوية متفتحة تقبل التفاعل والتحاور و التعايش مع الثقافات و الحضارات ولكن هذا لا يعني استعدادها للانصهار في أية بوتقة تنمحي فيها عناصرها الذاتية . كما أن موضع عظمة ديننا يكمن في الجمع بين عدد من الثوابت التي تكون بنية أساسية لثقافتنا والقدرة الغير المحدودة على التجاوب مع الجديد و توظيفه من خلال كلّ ما يخدم القيم العليا للإنسانية ، ومن حيث امتيازنا عن الأغيار و هذه هي الهوية وانه لا يجب أن يفهم الإنسان العربي انه إذا شاهد فلما غربيا أو استهلك بضاعة أجنبية أو استمع إلى موسيقى الروكي والروب، أو أكل مأكولات البيتزا أو ماكدونالد ، أو قاد سيارة رونو ،أنّه ذو هوية غربية ، بل إن الهوية ذات حسيّة لا يمكن أن تؤثر فيها المظاهر إذا كانت محصنة و منغمسة في ذات الفرد. بل تجعله يتمسك بها في مقابله الضد . و تلك في نظرنا الوسيلة الإجرائية لمعالجة أزمة الهوية التي تدفع في اتجاه الذوبان ، حيث أنها لم تأخذ المناعة التي تجعلها تقف على أرضية صلبة ، أو لم تتسلح بنوع من الموازنة بين الروح و الحسّ . أو ما يظهر في عدم تحقيق الموازنة بين الأصالة و المعاصرة و التراث و الحداثة.كلما تطرح مسألة الهوية في العصر الحاضر نجدها مصاحبة بالعولمة . على اعتبار أن العولمة تمس جوهر الفكر الإنساني و تعمل على تغييره، ومن هنا ينظر إليها اللاتينيون بأنها تقف عند حدود التمسك بالهوية الفكرية والخصوصيات الثقافية وترفض التنميط الأحادي و لا ترى فيه إلاّ تحويل الإنسان من محي مفكر متحرك إلى آلة (روبوتية) أو إنسان آلي تؤدي حركته المبرمجة لها لا غير1

1 عبد الهادي أبو طالب 'أزمة الهوية في نظم التعليم في العالم الإسلامي "مجلة الأكاديمية " الرباط 1991 مطبوعات الأكاديمية الملكية المغربية العدد 8ص107،108 .

ولذلك يناهضونها باعتبارها تفرض نمطا واحدا في التفكير و تعمل على محو ذاكرة الإنسان وما ارتبط بها من موروث قومي تاريخي ، فالعولمة الثقافية عندهم هي أصل العولمات لأنها تهيئ النفوس لقبول تلك الأنواع ، و تجعل الناس مستعدين للانضمام إلي منظمة ما .

العولمة والهوية الثقافية :

أخذت الثقافة تمس العولمة في معناها العام . أي كل ما يجيش به فكر الإنسان من تصورات و نظريات وممارسات لفرض النمطية في كل ما يخفق به القلب ويرتاح له الضمير ، وفي ظل التنوع الثقافي وازدهار هويات الشعوب وفي ظل الحوار الراقي الهادف بين الأديان و الحضارات .

كانت الثقافة هي الخيار الإنساني المتاح و المفتوح مستقبل البشرية. و كانت الهوية الثقافية هي ملاك البقاء و مصدر المقاومة في وجه كل غزو ثقافي أو حضاري يحاولان استقطاب أو فرض التبعية و إن الحق في التنوع الثقافي اليوم قاعدة من قواعد القانون الدولي الذي تزكيه القوانين الأممية و مواثيقها. وجاء في المادة الأولى من إعلان مبادئ التعاون الثقافي الدولي ما يلي :

_ لكل ثقافة كرامة و قيمة يجب احترامها و المحافظة عليها

_ من حق كلّ شعب ومن واجبه أن ينمي ثقافته

_ تشكل جميع الثقافات بما فيها من تنوع و خصب.وبما بينها من تباين و تأثير متبادل جزءا من التراث الذي يشترك في ملكيته البشر جميعا.

واليوم هذا شأننا مع الثورة التقنية وتجلياتها من عولمة الاقتصاد و أعلمة المجتمع و الحياة: نحن نخشى على الهوية و الوعي و الثقافة من التسطيح والغزو و الاختراق، في حين أن ما يحدث لا مرجوع أمام عنه إلى الوراء فالأجدى هو أن نقرأ الحدث . لا بلغة الرجم و اللعن، ولا بلغة التعظيم و التسبيح. بل بلغة الفهم والتشخيص ومن اجل التعقل و التدبير بحيث لا نرد على الحدث بنفيه ولا بالمصادقة عليه.بل بفهمه . و المساهمة في صوغه، أي بتحويله إلى فكرة خصبة أو إلى حقل معرفي أو إلى مجال تواصلي أو إلى سوق تبادلي. ولا يمكن أن يهيمن منطق الحقيقة الواحدة التي تفرضها العولمة ، و يصاب الأفراد بالتردد بين قيمهم و مسايرة عالم جديد ، و هنا يمكن أن ننتقل في الحفاظ على هوياتنا الثقافية من موقع الدفاع إلى موقع المواجهة ، و المواجهة تعني العمل على نشر إشعاع ثقافتنا و تعميق قيمنا الروحية وسط الفراغ الذي تعانيه الأجيال ، بوضع سياسات ثقافية تنموية شاملة ، و إنّ الهوية الثقافية يجبل أن تتصف بالوحدة وبالنفسية و بانتظام مقوّماتها و أجزائها ، مع الغاية التي تنشدها و ذلك يفضي إلى حتمية عولمة الثقافة (التثاقف) و التي يراد منها إن تصبح نموذجا فكريا وحيدا ، تر تكز في العقول و الضمائر و الأشرطة المتلفزة وأشرطة الفيديو ، و إن أغلب ثقافة اليوم هو محتوى يبث عن طريق هذه الشبكات و ضمنه ما يزخر به من قيم و أخلاقيات تعكس أخلاقيات من

يشرفون على تلك الشبكات ، فالنمط السائد هو نمط الأمريكي ، و الإنتاج الثقافي أغلبه أمريكي، والعولمة مرتبطة بمنطق السوق و آلياته ومن هنا فانه يحتاج إلى كسب رهان التنافس في هذا المجال لتحقيق الهوية الثقافية ، بمعنى حق تشخيص المكونات والمقومات التي ورثها كل الشعب عن ماضيه و تاريخه في ظل ثقافة عصرية مركزية تصلنا بالغرب و بحضارته وعلومه ، و عن طريق الأطباق اللاقطة و الزحف المكثف لوسائل الاتصال عبر الطرق السيارة للمعلومات ، وثقافة أصيلة لكنها هامشية تصل هذه الأمة بماضيها و شخصيتها و تراثها ، وهي تحتاج إلى تفعيل داخلي أولا ثم تصادر إلى الخارج ثانيا .[1]

إن اكبر تهديد هو خلق هوية ذات مفاهيم و قيم هجينة ، تغيب فيه مقومات الشخصية الأصيلة . وهنا تكمن الخطورة ، ولذا يجب أن نأخذ مسألة الهوية البعد الروحي في المقام الأول وبه تتحصن أبدا ثم تأتي المعطيات الأخرى القابلة للتغيّر مثل التأقلم و التطور حسب الأحوال و هذا ما يجب أن يتجسد واضحا في المنظومة التربوية و عندما نخطط لأية تنمية تربوية ، لكن لا يجب أن ننظر إلى الهوية على أساس أننا نخاف من الذوبان في الغير، دون البحث في كيفية الوقوف في وجه كل التحديات ، وفرض الوجود الحقيقي أمام الصراع الذي يجب أن نخوضه من موقع التأثير فيه.

من هنا فان مشكلة هويتنا الثقافية ، ليست في اكتساح العولمة و الأمركة على ما نظن و نتوهم ، بل في عجز أهلها عن إعادة ابتكارها و تشكيلها في سياق الإحداث و المجريات ، أو في ظل الفتوحات التقنية و التحولات التاريخية أي عجزهم عن عولمة هويتهم و أعلمة اجتماعهم وحوسبة اقتصادهم و عقلنه سياساتهم و كوننة فكرهم ومعارفهم ، تلك هي المشكلة الحقيقية التي نهرب من مواجهتها و عجزنا حتى ألان عن خلق الأفكار و فتح المجالات ، أو عن ابتكار المهام و تغيير الأدوار لمواجهة تحديات العولمة على صعدها المختلفة و المتعددة .

ولذا فالرهان تظهير صورة جديدة للهوية معنى و معاشا . نظرية وممارسة تسهم في إخراجها مخرجا أكثر قوة و غنى وفاعلية من خلال شبكة جديدة من المفاهيم كالانبناء ، و التكوين والصناعة ، والعولمة ،والأعلمة والتنمية و التواصل أو التداول و سوى ذلك من المفاهيم و التعاملات التي تعطي الأولوية للغة المفهومية و العقلية و التواصلية و الاستراتجيات العملانية و التحويلية علي ادلوجات الوعي و الهوية و على منطق المطابقة و المحافظة . ان هويتنا ليست ما نتذكره و نحافظ عليه أو ندافع عنه إنها بالأحرى ما ننجزه و نحسن أداءه أي ما

1 صالح بالعيد ،في الهوية الوطنية ،دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع ،السنة 2007 ص138 .

نصنعه بأنفسنا و بالعالم من خلال علاقاتنا و مبادلاتنا مع الغير [1]. لكن في غير تنكرّ للأصالة التي حفظ بها أسلافنا وجودهم في كل أبعاده الثقافية والحضارية

مفهوم الهوية و الشخصية اللغوية للجزائر :

العلوم التي اكتملت في ظل الإسلام هي العلوم العربية و علم النحو قبل أن تكتمل العلوم الأخرى المتعلقة بالتفسير و الفقه لأن الأمة تسارعت إلى الحفاظ على هذا الكيان و الهوية التي تنتسب إليها ، معنى الهوية قديم جدا لكن اللفظ معاصر بسبب خوفهم على لغة القرآن سارعوا الى الحفاظ على كيان اللغة العربية ، و الحفاظ على وعائها و الذين اهتموا و شمّروا ليسوا من العرب إلاّ قليلا جدا أشهرهم سيبويه الذي ألف أهم كتاب في علم النحو إلى ألان لا يزال أعظم كتاب . أشهر المفسرين الطبري (أبو المفسرين) قبل سيبويه كان هناك الخليل احمد الفر اهدي في معجم العين و هذا يدل على هبة الأمة بعربها و أسودها و عجمها و شرقها و غربها للحفاظ علي هذا الكيان لأن الدين يخطر بسبب الوعاء الذي يحمله ، ومنذ ذلك بدأت الحرب على الهوية في أواخر القرن الأول و بداية القرن الثاني بمصطلح الشعوبية و الشعوبيون أناس دخلوا في الإسلام رهبة لا رغبة و لما استقر الإسلام بدؤوا يطعنون في العرب و العربية حتى يضرب في الإسلام و أعظم الذين ردّوا عليهم عمليا و نظريا ليسوا من العرب كما قلنا هم سيبويه ، الكيسائي ، الروماني ، الزجاجي ... الخ.

الهوية مصطلح معاصر مأخوذة من "هو" يقابل مصطلح مشابه قديم " الشخصية" و الشخصية تعني الأمة الملة تعود إلى مفهوم الهوية فنجد أنها " مجموعة من الأفكار و العقائد و العادات كلها في إطار معين و مجموعة من السلوكيات تتبناها الأجيال جيل عن جيل و تصبغ كل مجتمع له هوية ذروتها العقائد التي تتمثل في القرآن الكريم ، ظلت الأمة محتفظة على هويتها رغم المصائب حتى بدأ الصراع الحضاري فلما بدأت الأمم تغزوا بعضها البعض و صار هناك صراع حضاري جديد في التاريخ منذ 500 سنة بالتقريب بدأت قضية البحث عن مقومات و ثوابت البلدان ، بدأت الأمم الغازية تبحث عن أمم تغزوها في مقوماتها و ثوابتها ، و قد دمرت بعض المجتمعات بأسرها لتدمير مقوماتها وخاصة اللغة العربية هناك من البلدان من استقلوا من عشرين سنة لكن لم يقفوا ضربوا ضربة قاسية في الهوية أما أمريكا الشمالية و الجنوبية خلعت رداء الاستعمار قبل استعمار البلدان العربية ، لما استقلت لم تجد هويتها إلى اليوم لا تعرف مسيرها و لا لغتها إما الاسبانية أو البرتغالية . الأمة العربية غزيت في لغتها في القرن التاسع عشر بجيش من المستشرقين و جيّش جيشا من المستغربين ليعملوا عملهم في

---

1 علي حرب ،حديث النهايات (فتوحات العولمة ومآزق الهوية) ، ط 2 ،2004 -المركز الثقافي العربي الدار البيضاء،المغرب ،ص25

محو هذه اللغة التي من ورائها الهوية. إن كان التدريس في ربع القرن من الابتدائي إلى الجامعي لا يدرس إلا اللغات الأجنبية ويتتبع ذلك محو الهوية وأول ضربة من هذه الضربات الاهام بان اللغة لا تعني شيئا أصبحت قديمة و إذا تسربت هذه الفكرة أن اللغة ليست لها أهمية في كيان الإنسان و هويته فقد دخل الخراب إلى عقولهم وقلوبهم وقد تجد بعض الناس ينتمون إلى هذه الأمة و هذه اللغة لكنهم نشأوا في البلدان الأجنبية ، و اذاتحدثت عن اسم قديم كعمر بن الخطاب بدا لهم غريب لكن الإنسان صاحب اللغة كل كلمة قديمة تستحضر لديه معلومات ، مصطفي صادق الرافعي يدافع عن الهوية فيقول بعد أن سأله بعض السائلين ، وقالوا نريد أن ننسى هذه اللغة انتهى عصر امرئ ألقيس وعنترة نحن الآن في عصر معاصر عصر شكسبير ، فيكتور هيقو ، رد عليه إن الميراث العربي القديم الذي ورثناه يجب هدمه كله و تسويته بالعدم . قلت افتحدث أنت للناس لغة و أدبا أو تاريخا ثم طبائع متوارثة تقوم على حفظ اللغة و الأدب والتاريخ أم تحسب انك تستطيع بمقالة عرجاء في صحيفة مقعدة أن تهدم شيئا أنت بين أوله و أخره كعود من القش يؤتى به لاقتلاع جبل من أصوله ، فإذا هذه الكلمات تبين لنا ماذا تعني اللغة وما تحمل الهوية ومن هذا فان هوية الأمة العربية و منها الجزائر العربية الإسلامية حيث تكوّن الشعب الجزائري في ظل الإسلام و العروبة تكوينا جديدا نتج من عملية امتزاج العنصرين الأساسيين من سكان الجزائر العنصر البربري القديم من سكان البلاد و العنصر العربي الحديث الذي حمل الإسلام و اللغة العربية إلى الجزائر و كل هذا الامتزاج نتيجة الاختلاط في المعيشة و الجوار من ناحية و نتيجة المصاهرة و المشاركة في العمل من ناحية أخري كما أن بعد قليل نتيجة الاشتراك في التاريخ المشترك ، و المصير المشترك بعد إن اعتنق البربر الدين الإسلامي و مازج أرواحهم و تغلغل في أعماق قلوبهم و وجدانهم و بذلك أصبحوا شركاء للعرب الفاتحين في حمل رسالة الإسلام إلى الناس قاطبة ، و المحافظة عليها و التضحية من اجلها بالنفس و النفيس فاتحدوا في العقيدة و النحلة كما اتحدوا في الآداب و اللغة فأصبحوا شعبا واحدا عربيا متحدا غاية الاتحاد ممتزجا غاية الامتزاج وأي افتراق يبقى بعد إن اتحد الفؤاد واتحد اللسان و بناء على ذلك فان الشخصية الجزائرية هي شخصية عربية و تعتبر جزء لا يتجزأ من الشخصية القومية للأمة العربية و هي عبارة عن خصائص و مميزات نتجت من مجموع عوامل بيئية و اجتماعية و سياسية تعرض لها خلال تاريخه الطويل القريب و البعيد و قد لعبت اللغة العربية طوال هذه الفترة دورا كبيرا في التماسك الاجتماعي و القومي و لذلك قالوا إن اللغة و الأمة أمران متلازمان و متعادلان فهي العامل الأول في تكوين الأمة و نشوء القومية ، و هي المعيار الجوهري للتمييز بين الامم[11] و تعتبر اللغة العربية والدين

1 صوفي حسن أبو طالب المجتمع العربي ،دار النهضة العربية –القاهرة ،سنة 1970 ص96 .

الإسلامي من مقومات الشخصية إضافة إلى المقومات الأخرى من تاريخ و ثقافة ووطن.

1- **اللغة العربية :** هي اللغة الوطنية و القومية للمجتمع الجزائري و قد لعبت اللغة العربية طوال قرون عديدة دورا كبيرا في التماسك الاجتماعي و القومي للمجتمع الجزائري و هذا يعود في رأي الباحث إلى العاملين ، العامل الأول : وكونها لغة قومية للجزائريين تربط بعضهم البعض إما العامل الثاني فهو إن اللغة العربية هي لغة القرآن و بالتالي فهي لغة الإسلام الذي يدين به الجزائريون ويتصل بواسطتها الفرد الجزائري بمنابع الإسلام في القرآن و الحديث والفقه و غيرها من التراث الفكري و الروحي للاسلام واللغة العربية من جهة أخرى هي كما يقول عبد الحميد بن باديس " الرابطة التي تربط بين ماضي الجزائر المجيد و حاضرها الأغر و مستقبلها السعيد . و هي لغة الدين ، و الجنسية و القومية ، و اللغة الوطنية المغروسة [1].

2 - الدين الإسلامي: الدين الإسلامي في الجزائر يعتبر مقوما من مقومات الشخصية الجزائرية و ذلك برغم اختلاف الباحثين في كون الدين من مقومات الشخصية القومية للجماعة أم لا و هذا يعود في نظر الباحث إلى إن الجزائريين لا يفصلون بين مفهوم العروبة كقومية و بين مفهوم الإسلام كالدين الروحي جاء لهداية الناس أجمعين فالعروبة عندهم تعني الإسلام كما إن الإسلام يعني العروبة وهو الوحدة الدينية و المذهبية السائدة بينهم منذ دخول الإسلام إلى الجزائر حتى اليوم فلا توجد أقليات دينية ووطنية غير الإسلامية كما المذهب الديني السائد هو المذهب المالكي هو احد مذاهب السنة و لذلك فالدين الإسلامي في الجزائر عامل هام من عوامل التماسك الاجتماعي و الوحدة الوطنية و القومية بين الجزائريين .

3 – التاريخ العربي الإسلامي للجزائر : و التاريخ العربي الإسلامي للجزائر يعتبر مقوما آخر من مقومات الشخصية الجزائرية لأنه هو الذي كوّن ضمير الشعب الجزائري و جعل الجزائريين كافة يرتبطون بذكريات هذا التاريخ ، وإحداثه سواء السارة منها أو الحزينة فجميعهم يعتزون مثلا بعمر بن الخطاب وطارق بن زياد و الأمير عبد القادر و عبد الحميد بن باديس و غيرهم من رجال العروبة والإسلام قديما و حديثا ، كما يعتزون بمساهمتهم في نشر الإسلام و اللغة العربية في إفريقيا السوداء والأندلس،مثلما يعتزون و يفخرون بمقاومتهم البطولية للاحتلال الفرنسي في القرن التاسع عشر.

و ثورتهم الكبرى ضد فرنسا 1954 و التي اشتهرت في العالم بأنها ثورة المليون شهيد و نظرا لأهمية هذا التاريخ فقد شن عليه الاحتلال حربا عنيفة لا تضارعها إلا تلك الحرب التي شنها على اللغة العربية و الثقافة العربية و حصروا جل اهتمامهم و دراساتهم

1 البصائر ،السنة الرابعة ،عدد 171 ،قسن طينة ،22 يونيو1939 ص 5 .

بتاريخ الجزائر و الآثار التاريخية الموجودة بها خلال عهدين فقط من عهودها التاريخية و هما العهد الروماني قبل الإسلام و عهد الاستعمار الفرنسي بعد الاحتلال ، مهملين تاريخ الجزائر في ظل العروبة و الإسلام و كان هدفه من وراء ذلك هو الإيحاء إلى الجزائريين بان بلادهم فرنسية في حاضرها و مستقبلها و الرومانية في ماضيها و لا شيء غير ذلك و بالتالي ليس هناك تاريخ قومي للجزائر يمكن إن يعتز به الجزائريون .

4- الثقافة العربية الإسلامية: الثقافة العربية الإسلامية هي ثقافة المجتمع الجزائري القومية و لذلك فهي مقوم أساسي للشخصية الجزائرية و لهذه الثقافة خصائصها المميزة التي تتمثل في عدد من الخصائص منها:

- أنها ثقافة عربية تشكل اللغة العربية إطارها
- إن التراث الفكري لهذه الثقافة تراث خصب
- أن لهذه الثقافة آدابها و فنونها
- أن الثقافة العربية تمتاز عن غيرها من الثقافات الأخرى بأنها ثقافة معززة وقد لعبت الثقافة العربية قديما و حديثا دورا بالغ الأهمية في التماسك الاجتماعي و القومي للمجتمع الجزائري ، حيث كانت تربط الجزائريين بماضيهم العربي الإسلامي كما كانت في الوقت نفسه تيارا يدفع بهم دائما إلى الأمام لتطوير حياتهم و الارتقاء بها في جميع مجالات في إطار من الأصالة و التفتح من ناحية أخرى و لذلك كانت و لا تزال تعد من أهم مقومات الشخصية الجزائرية وقد عانت هذه الثقافة طوال فترة الاحتلال المظلمة من محاولات القضاء عليها ما لم يعان مثله بلد أخر في العالم [1].

5- الوطن العربي : و الوطن الجزائري الذي هو جزء لا يتجزأ من الوطن العربي الأكبر يمثل العامل الخامس و الأخير في بناء الشخصية الجزائرية ، و قد اشتهر الجزائريون بحب وطنهم و الذود عنه ، وحماية حدوده ضد الغزاة على مدار التاريخ . ولذلك فان الجيوش العربية الإسلامية التي ذهبت لفتح الجزائر في القرن الأول الهجري من أجل نشر الإسلام وجدت صعوبة كبيرة في تحقيق مهمتها ، و لقيت مقاومة عنيفة من الجزائريين ، ولم تتمكن من فتحها إلا بعد عدد من الغزوات استمرت سنوات طويلة و لكن عندما دخل الجزائريون في الإسلام أصبحوا من اشد المسلمين إيمانا بالإسلام و تعلقا به ، و رغبة في نشره ، و حماسة في حماية ثغوره ، ونظرا لأهمية العامل الوطني في تكوين الشخصية القومية للجزائريين و المحافظة عليها منعت فرنسا تدريس جغرافية الجزائر لأبنائها سواء في مدارس التعليم الفرنسي الحكومي أو في مدارس التعليم العربي ، يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس في تحليل عاطفة حب الجزائريين لوطنهم ، و

---

1 د. أحمد طالب " ثورة شاملة " دراسة منشورة في جريدة المجاهد الأسبوعية عدد595 ،الجزائر في16 يناير سنة 1972 ص7 .

دور الوطن في بناء الشخصية الوطنية للمجتمع الجزائري " إما نحب الإنسانية ونعتبرها كلا ، و نحب وطننا و نعتبره منها جزءا ، و نحب من يحب الإنسانية و يخدمها ، و نبغض من يبغضها و يظلمها ، و بالأحرى نحب من يحب وطننا و يخدمه و نبغض من يبغضه و يظلمه فلهذا نبذل غاية الجهد ، في خدمة وطننا الجزائري و تحبيب بنيه فيه و نخلص لكل من يخلص له ، و نناوئ كل من يناوئه من بنيه و غير بنيه .

الفصل الأول: روافد تكوين الشخصية اللغوية الجزائرية

- بدايات الحضارة في الجزائر
- العهد الإسلامي
- مشاريع الاستعمار الفرنسي في تشويش الهوية
- الجهود الوطنية في الدفاع عن اللغة

بدايات الحضارة في الجزائر

تعاقب على هذا الوطن الجزائري بعد العصر الحجري و قبل الفتح الإسلامي خمس أمم عظيمة ، البربر و هم سكان القدماء الأصليون و الفينيقيون ، ثم الرومان ، فالفندال ، فالروم ، البيزنطيون . وهذا ما نسميه بالجزائر العتيقة ، وتاريخ هذا العصر يشمل تاريخ الشمال الإفريقي كله و ما الجزائر إلاّ جزء من الجزيرة المغربية و هي متشابهة جغرافيا و تاريخيا فهي وحدة لا تتجزأ رغم جميع الاعتبارات السياسية ، فان تاريخ هذا الشمال الإفريقي متماسك الحلقات لم ينفصل عن بعضه إلاّ في ظروف استثنائية وملابسات خاصة ،أما قبل ذلك فهو ما يعبر عنه لدى علماء التاريخ بعصر البيليستوسين و يسمى بعصر الجليد أيضا ، و هو عصر يقدر تاريخه بمليون سنة مضت ، ثم يأتي بعده العصر الحجري ذلك لأن النوع البشري عموما كان يستعمل الحجارة في كل ما يحتاج إليه من أدوات كالمقاطع ، و النقوش و الجفان وغيرها ، و ينقسم هذا العصر إلى ثلاثة أقسام : عصر الحجارة القديم ، عصر الحجارة الأوسط ، والعصر الثالث الذي أتقن فيه الإنسان صناعة الحجارة . وفي هذا العصر اخترعت الكتابة الهيروغليفية أي التصويرية أو النقش المقدس و فيه عرف الإنسان الحياكة، و النسيج و إيقاد النار و صنع الأواني الطينية.

إن أهم ما اكتشفه العلماء من هذه الآثار هو صور منقوشة على الصخور و بعض الأدوات الحديدية وقد جمعت منها كمية لا باس بها يوجد بعضها بدار الآثار بالعاصمة و في غيرها كذلك من متاحف القطر الجزائري و غيره مما كان موضع إعجاب أرباب الفنون و الصناعات اليوم . و لقد ذهب العلماء في تقدير الزمن الذي يرجع إليه تاريخ هذه الآثار مذاهب شتي فبلغ به بعضهم إلى ستة أو عشرة آلاف سنة قبل الميلاد و هو تاريخ الحضارة البشرية ، ثم يأتي بعد ذلك العصر المعدني حيث استعمل فيه الوثائق المكتوبة و هم يقدرون عصر ما قبل التاريخ بنحو مائة و خمسين ألف سنة .

أمّا بالنسبة للغة وديانة قدماء الجزائر فانه لا يخفى أن هذه المجموعة البشرية ترجع في نسبها حسب التقاليد المتواتر و النظرية الدينية إلى آدم و نوح عليهما السلام ، و أن الناس جميعا هم من أبناء نوح الثلاثة سام و حام و نافث فمنهم و عنهم تفرع هذا الجنس البشري القائم يومئذ، و جعلنا ذريته هم الباقين ، و ذكروا أن لنافث ولدا هو وطبال إليه يرجع نسب القدماء من السكان الشمال الإفريقي و قيل هم من السلالة الحامية و نرى ابن خلدون نفسه يشك كثيرا في صحة هذا التقسيم الثلاثي المرتب على أبناء نوح الثلاثة على أن علماء العصر قد خالفوا هذه النظرية تماما و أنكروا هذه العقيدة الشائعة و عدلوا عن هذا التقسيم الثلاثي القديم إلى جعل الناس ثلاث طبقات : طبقة العصر الحجري و طبقة العصر الحديدي ، وطبقة عصر سكب الرمل و إن تاريخ العصر الحجري وحده يرجع إلى ما قبل اليوم نحو 12000 سنة و انه

مضى على وجود العائلة الإنسانية على وجه الأرض نحو 100000 سنة و بلغ بعضهم إلى 240000 سنة ، ولا يخفي أن التاريخ الديني الذي يقول به أهل الكتاب من النصارى و اليهود لا يزيد عن خمسة أو سبعة آلاف سنة من عمر البشرية .

أمّا عن تاريخ أقدم سكان الجزائر (شمال إفريقيا من غير البربر) فالمتفق عليه لدى المحققين من علماء التاريخ و الآثار و الجغرافية جميعا هو إن سكان الشمال الإفريقي القدماء هم من سلالة الجنس الأبيض واضع أسس المدنيات القديمة ، و يرى هؤلاء العلماء أن أوّل ما وجد الإنسان وجد بشمال إفريقيا فهو المهد الأول للجنس الأبيض ،و منه هاجر إلى أوروبا و أيدوا نظريتهم هذه بما دلت علية الاكتشافات الحفرية الحديثة التي أجراها العلماء و منهم العالم الأثري "ارامبورغ" فإنهم اكتشفوا بناحية مدينة معسكر من القطر الجزائري هيكلا عظيما يرجع تاريخه إلى نحو 450 ألف سنة و قد وجد بعض [1]

العلماء مجموعة من الآثار تدل على بقايا إنسانية و التاريخ التغريبي الذي يحددونه لها يتراوح من سنة مليون إلى سنة 125000 سنة قبل الميلاد و هي من أقدم ما عرف من القواقع البشرية بإجماع الآراء أما عن لغتهم و لهجاتهم فلم يحدثنا التاريخ عنها شيء ولا يبعد أن تكون أخت لغة قدماء المصريين والليبيين، و خصوصا إذا ما اعتمدنا قوله من يقول إن قدماء المصريين هم سلالة سكان الجزائر و مراكش ، و هذا الرأي يعود أساسا إلى اعتبار هجرة الجالية العربية الأولى التي وقعت سنة 3500 ق.م في اتجاه شعبتين اثنتين أحداهما نحو الدجلة و الفرات و الأخرى إلى واد النيل و هذه الهجرة هي التي مهدت السبيل لامتداد تلك الظاهرة و اتصالها ببلاد المغرب ، فتوحدت بذلك اللهجة و اللغة كما أثر ذلك في امتزاج السكان بعضهم ببعض .

وأما ديانتهم فهي مؤسسة علي عبادة مظاهر الطبيعة من إجرام العلوية العظيمة و إذا حاولنا معرفة طابع الحضارة أو المدنية الراهنة يومئذ فإننا نجد القوم متأثرين بالحضارة الإيجية حسب ما يدل عليه تقارب اللغة القديمة و الخط و وحدة الشكل في البناء و صناعة الخزافة ."الإيجية" اسم عام يطلق على الحضارات التي قامت في حوض بحر ايجة.[2]

البربر:

ليس هناك إجماع لدى المؤرخين في الحديث عن أصول البربر لا في موقعهم بالمشرق العربي من وجهة النظر التاريخية العامة و منها العربية و لا في علاقاتهم بأوروبا من زاوية النظر الاستعمارية بقيادة المدرسة الفرنسية فحسب بل ترتبك رؤية المؤرخين حتى في القبيلة أو القبائل التي تعود إليها أصولهم إذ زعم بعض المؤرخين أنهم من ولد سام بن نوح ثم اختلفوا

1 عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر الثقافي ج 1 ، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 7 ، 1994 ، الجزائر ، ص 32 ،33

2 نفس المرجع السابق ص 30 ،31 .

فقالت فرقة هم ولد بربر بن تملا بن مارين بن قار بن عمرو بن عملا بن لأود بن ارم بن سام و على هذا القول الأخير يكونون عمالقة و قال مالك بن المرحل " البربر قبائل شتي من حمير و مضر و القبط و العماليق و كنعان و قريش ، تألفوا بالشام ، ولغطوا فسماهم " افري قس بن قيس " البربر لكثرة كلامهم و الله اعلم.[1]

هؤلاء البربر و إن اختلف الناس في أصل نشأتهم فهم ساميون من ابنا مازيغ بن كنعان فهم (الأمازيغ) كما جاء في تصريحهم أمام الخليفة عمر بن الخطاب حينما ذهب إليه الوفد بعد فتح مصر ، فانتسبوا إمامه إلى مازيغ و أنهم أصحاب البلاد الواقعة بين خليج العرب " البحر الأحمر" و البحر المحيط و لم يقولوا له أنهم "بربر" و لا تزال إلى اليوم لغتهم تعرف "بتامزغث" و أن موطنهم الأصلي هو جزيرة العرب و يزعم العالم" دوبرا" أن البربر هم من جنس أري هاجر من نواحي الكنج بالهند . كان البربريون محافظين على جميع مميزاتهم و خصائصهم كما هو عليه حاله إلى الآن ، و أعظم دليل علي ذلك هو محاولة الدول المستعمرة التي توالت علي الوطن منذ قرون من العهد الفينيقي و الروماني إلى يومنا هذا من عجزها عن تغيير مجرى حياة الأهالي في جميع الميادين في لغاتهم أو عاداتهم ...الخ و يعتبر نظام العشيرة هو نظام الحكم عندهم فانه كان ديمقراطيا ليس هنالك ملك و لا سلطان و لا عرش ، تنتخب رئيسها بنفسها و تقلده الحكم ، و يرجع نظام الأسرة الداخلي إلى المرأة فهي ربة المنزل و صاحبة النفوذ به ، و أمّا المسكن فانه كان ولا يزال عند بعض أهل البادية من كوخ أو بالكهوف و منه ما هو من خيام الوبر و الشعر و لم يعرف فيهم هذا إلا بعد الفتح العربي. أما ملابسهم فإنها لم تزل في الجملة علي ما كانت عليه من قبل من صوف: برنس و فشابة...

أما بالنسبة للثقافة فإن للبربري فضلا عظيما علي المجتمع الإفريقي و على المدنية الإفريقية في القديم بما اخترعه من أشكال الحروف و ابتكار الخط الذي به عبر عما يختلج في صدره من المعاني و الكلمات ، في حين أن الخط كان منعدما و الكتابة مجهولة و خاصة بهذه الأوطان ، و من تأمل الخط البربري ، و أشكاله وجدها تشبه كثيرا الأوضاع الكونية و الكائنات الطبيعية ، فهناك من الحروف ما يشبه الشمس و منها ما يشبه القمر و النجم و البرق ...الخ ، و لم تكن الحروف الأصلية لتزيد لديهم علي أربعة عشر حرفا يسمونها " تيفيناغ"و معناها الحروف المنزلة و لها حركات و ضوابط تسمى " تيدباكين" بمعنى الدليل على العمل و التوسع و هم يكتبونها بحرية تامة كيفما شاء الكاتب فليكتب : من اليمين إلى الشمال و بالعكس و من أعلى إلى أسفل أو بالعكس حسب اصطلاح القبيلة ، و هي كغيرها من وسائل لغات البشر ذات لهجات و صيغ مختلفة كما هو مشاهد من أهلها إلى الآن بين سكان القطر الجزائري والمراكشي

1 د. عمر بن قينه ،المشكلة الثقافية في الجزائر ،دار أسامة للنشر و التوزيع ،ط 1 ،2000 م ،الأردن عمان ، ص 98 ،99..

و الصحراوي فهناك لهجة خاصة بزواوة – بلاد القبائل– تختلف في بعض مظاهرها عن لغة الشاوية و بني مزاب و بني صالح بجبل البليدة و الشلوح و التوارك ... الخ ، و قد استطاع هؤلاء الأسلاف نقلها إلينا رغم عواقب الدهر و المنافسة التي تعرضت لها عبر التاريخ من اللغات الدخيلة بدءا بالفينيقية إلى اللاتينية و الإغريقية ، و هي تتعرض ألان للاندثار و الانقراض أمام زحف المدرسة ووسائل الإعلام ، و كذا المركزية الإدارية ، إن لم نعمل علي إنقاذها كلغة و تراث وطني يعتز به كل أبناء المنطقة المغاربة.[1]

و يقدر عدد المتحدثين بها اليوم في الجزائر بنحو 25 بالمائة علي نسبة 27 بالمائة في مقاطعة قسنطينة و 34 بالمائة في مقاطعة الجزائر العاصمة و1% في مقاطعة وهران ، و في تونس ب 1%و في المغرب الاقصي ب 36% و لا يزال اسم "ثمازغث" يطلق علي جميعها بمعني اللغة الامازيغية و هي فرع عن اللغات الكوشية أو الحامية و كلها ترجع إلي جذر واحد يمد بصلة إلي اللغات السامية و لقد عثر الباحثون من علماء الآثار علي نقوش مكتوبة بالخط الحميري علي صخور من ديار عاد و ثمود و مشهد وواد ثقب هي قريبة الشبه جدا من نقوش الخط البربري الموجود بناحية الهقار من القطر الجزائري [2] . والكتابة على وجه العموم هي عبارة أو علامة تدل على الحضارة ، و هي من أوثق المميزات التي تفرق بين أهل المدينة و أبناء العصور البدائية ، و قد عثر الباحثون من علماء الآثار – الاركيولوجية – في سنة 1933 علي نقوش و رسوم مختلفة متنوعة بناحية " تاسيلي" بالجنوب الرقي من صحراء الجزائر وبالشمال الشرقي من بلاد " الهقار" فيها عدة صور للنوعين الإنسان و الحيوان قالوا و يرجع تاريخها إلى ما قبل سبع ألاف أو ثمانية ألاف سنة ، و إن دل هذا على شيء فانه يدل على تغلغل روح الفن و التقدم الصناعي في الشعب البربري الجزائري منذ القدم ، أما عن سير الأدب و العلم فإننا لم نقف على أدب بربري بالمعنى الصحيح و لعل ذلك يرجع إلى اختلاف لهجاتهم و عدم ضبط قواعدها اللغوية ضبطا محكما أو لضيق لغتهم عن التعابير الفنية ، و غاية ما بلغنا عنهم في الفن و الزخرفة لم يتجاوز أشكالا وخطوطا هندسية .

الدولة الفينيقية : القرطاجنية (880 – 146 ق.م)

الفينيقيون أمة شرقية متشبعة عن الفرع الكنعاني السامي وهم ينتسبون إلي وطنهم "فينيقية " بآسيا الصغرى غرب بلاد الشام إلى جبال "كارل يل" بين جبل لبنان والبحر أما لغتهم فهي من أهم اللّهجات الكنعانية بعد العبرانية وهي تطابقها بأصولها السواكن مطابقة تامة ، والفروق بينها وبين اللهجة العبرية في الحروف المتحركة أهم منها في الحروف السواكن ، وكذلك النحو ، و

1 حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي ،1960،بيروت.

2 عبد الرحمن بن محمد الجيلالي- تاريخ الجزائر العام ج1 ،ديوان المطبوعات الجامعية ،ط 7 ،1995 ،الجزائر ، ص57 .

للفينيقيين بناء للفعل غير معروف في اللهجة العبرية ولكنه وجد بعد ذلك في اللغة العربية . واللغة الفينيقية في لهجتها تشبه لغة أهل الجزيرة (مالطة) اليوم . فاللغة الفينيقية لغة سامية هي أخت العبرية وقد أقبل عليها البربر لمّا وجدوا فيها من القرب من لغتهم ومن الاتصال الجنسي الكنعاني بأهلها. وقد زادت الفينيقية هذا الوطن تأكيدا للعنصرية السامية وتمهيدا للعروبة والعربية ويعتبر إن الحسن الوزان كان محقا فيما ذكر من أن الفينيقيين عنصر عظيم بين سكان إفريقيا الشمالية في القرن الثالث عشر قبل الميلاد بعد حروبهم مع إسرائيل ثم في عهد داود في القرن 11 ق.م ووصل بعضهم إلي إفريقيا الجنوبية و استثمروا مناجم الذهب بها. وحملوا معهم إلى المغرب الفن الفرعوني في البناء.

إن اللغة البونية وهي اللغة المغربية القديمة لغة سامية اقتبست الأبجدية السينائية وينتقل الأستاذ توفيق المدني في مجلة تقويم المنصور عن الدكتور البرازيلي (اديولونيتو) وصف الرخامة التي عثر عليها في البرازيل سنة 125 ق.م والمكتوبة باللغة البونية المتشابهة مع لهجة المغرب المعاصر ومما يكاد أن يتفق عليه المؤرخون إن القرطاجنيين يسمون ويوصفون بالكنعانيين ... ولم يلبث الشمال الإفريقي أن سمي بالافر من كلمة افريقش ، الذي تنتمي إليه السلالة السامية وضمنها العربية و البربرية فكان سكان المغرب الأصليون هم البربر فعرفت أرضهم بافريقية . وظلت اللغة البربرية ذات صلة رحم قوي باللغة العربية القديمة ، واللغة البونيقية التي جمعت بين العربية والفينيقية والبربرية.[1]

للأمة الفينيقية الفضل الأوفر علي العالم المتمثل اجمع إذ هي أول من ابتكر طريقة رسم الحروف الأبجدية المنتشرة في العالم اليوم ، وقد اقتبس المغاربة من الخط الفينيقي (حروف التف ناغ) التي يبدو عليها اثر الحرف العربي قبل التطور ، كما بها اثر الحروف الهيروغليفية التي قلنا عن تأثرها بالخط العربي الأول ، ثم تطورها بعد ذلك فجميع خطوط الأمم اليوم مدينة إلي الخط الفينيقي القديم المتجه من اليمين إلي اليسار وتلك مفخرة ممتازة يفتخر بها الجنس السامي علي سواه ، واشتهر الفينيقيون أيضا بالمحافظة التامة علي مميزاتهم وخصائصهم الجنسية وكل ما يربطهم بحياتهم العامة ومعيشتهم الشرقية فلم يتأثروا بالحياة الإفريقية يومئذ ولا بغيرها من تقاليد الأمم الأخرى.

الدولة الرومانية:(146 ق.م- 431م)

إن من يتتبع سير الاستعمار الروماني بهذا الوطن يراه قد استعمل جميع وسائله ومجهداته لبسط نفوذه علي العنصر الأهلي ماديا و أدبيا ، فقد كان التعليم إجباريا بلغته، ورغم ذلك فان

1 الأستاذ الحسن السائح ،الشخصية اللغوية المغربية . 2،عبد الرحمن بن محمد الجيلالي ،تاريخ الجزائر العام ج1، ديوان المطبوعات الجامعية ،ط7 ، (1415 ،1994م) الجزائر ص 90

الأهلي لم ينسي لغة بلاده فبرع فيهما معا ، قال المؤرخ تيري : لقد كانت العلوم تدرس بمدينة مادور وحدر موت : سوسة ولبتيس، وسيرتا : قسنطينة ، وحتى في داخل نوميديا وكانت الدراسة فيها باللاتينية إنما هي لاتينية مركبة من البونيقية التي مكثت حية الى هذه الآونة ، وقد كان من السهل علي سكان البربر ما يسمون اليوم القبائل إن يخضعوا للغة العربية لأنها كانت قريبة جدا من اللغة الفينيقية التي كان متعودا عليها . وكانت هناك مدارس أخرى بشر شال ومداوروش ... الخ وهي مفتوحة الأبواب للأغنياء والفقراء علي السواء وكلها استعملها الرومان في نشر لغتهم، كما فعلوا كذلك بالمحاكم العامة والخاصة.

وبذلك تيسر لأبناء البلاد إتقان لغة الدولة الحاكمة مع المحافظة التامة على لغتهم ، ولم يمنع هذا الأخير أن يكون التأثير الإغريقي و اليوناني و اللاتيني جعل المغاربة يستعملون في بعض الأحيان اللغة اليونانية من زمن الفتح إلى عهد عبد الملك بن مروان ، حيث عثر حسن حسني عبد الوهاب على وثيقة مكتوبة على البردي (البابيروس) يرجع تاريخها إلى سنة 95 هجري في عهد موسى بن نصير أما التكلم باللغة الرومانية و استعمالها بصفة شعبية ، والكتابة و التعامل بها ... فرغم إجبار القضاة الرومانيين المحاكمين المغاربة أن يرفعوا شكواهم بها، فان المغاربة رفضوا تعلمها، كما لم يكن الرهبان يتلون القداس الديني إلا بالفينيقية... و قد اشتكى (سانت أوجيت) و تأسف على قومه الذين لا يفهمون لغة الكتاب المقدس . و إذا كان المغرب عرف كتّابا و مسرحيين وشعراء باللغة الرومانية فان هؤلاء لم يتجاوزوا جماعة من المنضوين تحت لواء الرومانيين المتعاونين معهم و حتى أسماء المدن المغربية احتفظت بمقطعها الصوتي الشرقي ، و لعل الخرائط التاريخية تؤيد الصلات العرقية و اللغوية ، فمنطقة (الأهواز) الموجودة في فارس هي محرفة عن (الأحواز) لأن الفارسيين ينطقون الحاء (هاء) و توجد كطلك في جنوب المغربي بلاد (الحوزة) .

أما الدولة الفاندالية (431 – 534. م) و الدولة البيزنطية (534 – 647 . م) لم ينبئنا التاريخ بذكر حالة البلاد الأدبية و الثقافية في العهدين فالدولة الفاندالية لم يظفر التاريخ في دراستها بما يسمى هنالك علما أو أدبا أو فنا ، و لا لغة كذلك ولا أثر معماريا ، و إن كل ما فاز به التاريخ في هذا الميدان هو بعض قطع من نقود : فضة و برونز مضروبة باسم ملوك هذه الدولة و فيما يخص الدولة البيزنطية فانه لم يكن للروم بالجزائر يومئذ سوى تشييد بعض الكنائس و إقامة الأسوار حول المدن.[1]

1 عبد الرحمن بن محمد الجيلالي ،تاريخ الجزائر العام ج1 ،ديوان المطبوعات الجامعية،ط7 ،1994 م ،الجزائر ، ص (97 ، 105) .

في العهد الإسلامي

لقد كان العالم يعيش فوضى أخلاقية ودينية واجتماعية ، إلى أن أتى الرسول صلى الله عليه وسلم فبلّغ الرسالة وأدى الأمانة و نصح الأمة ، وكشف الغمة ، وجهد في سبيل الله حتى تحقق النصر المبين وعمّ الإسلام جزيرة العرب ودخل الناس في دين الله أفواجا وما انتقل صاحب الرسالة العظمى إلي الرفيق العليّ . حتى صار للأمة الإسلامية دولة وأصبح لها شأن ، فانطلقت لإنقاذ الإنسانية من استبدا دولة الأكاسرة وطغيان دولة الروم . فان كلّ فرد مأمور بالجهاد لإقامة الحدّ ومحق الباطل فيكل وقت و في كلّ جهة هذا هو المبرر الخلقي للحركة الإسلامية الجهادية والفتوح الإسلامية الأولى والاستعمار الإسلامي ، وهذا الاستعمار لم يقصد منه إلا بناء إطار عالمي لأحسن ما يمكن للإنسان من ارتقاء روحي.

كان من الطبيعي المعقول أن يتابع العرب فتوحات في شمال إفريقيا ومنها الجزائر ، فكان فتح الشام و مصر ثم بلاد المغرب التي ظلت قرونا تعيش كلّ أنواع الظلم و بالرغم من دور الدول الإسلامية التي ظهرت في المغرب والعمل من اجل ترسيخ العقيدة الإسلامية واللغة العربية في هذه البلاد وكذا دورها الحضاري.[2]

و الدعوي الذي تجاوز الحدود الجغرافية لشمال إفريقيا ، إلا أن هذه الفرقة و هذا التمزق أدى في النهاية إلى دخول المغرب في صراعات مذهبية وسياسية أثرت تأثيرا بالغا في وحدة الأمة الإسلامية و يبدو أن البربر أبدو عدوانية ناحية العرب المسلمين فقط في أول اتصال بينهم و بين العرب الفاتحين وعندما تمكنوا من التعرف عن كثب على مضمون رسالة الإسلام ، أقبلوا على اعتناق الإسلام إذ يبدو من دراسة تاريخ الفتح الإسلامي العربي للمغرب أن هناك طوائف و قبائل كثيرة من البربر أقبلت علي اعتناق الإسلام من أول وهلة بدون عناء كبير و لا مشقة و تعلموا اللغة العربية من منطلق أنها لغة دينهم ولغة الله سبحانه و تعالى و استعين هنا بفقرة من مقالة الأستاذ عبد المجيد مزيان رحمه الله و الذي تدعم هذه الحقيقة التاريخية : " إن البربر الجزائريين عرفوا منذ الفتح الإسلامي بإقبالهم على تعلم اللغة العربية كونها الرافد الأساسي لعقيدتهم و ثقافتهم الإسلامية " إلى قوله " كانت تبذل كل جماعة في الحصول على قدر أدنى من الثقافة العربية الإسلامية لتنتسب للأمة .و تركت الكثير من القبائل لهجاتها الأصلية للأخذ باللسان العربي العامي كخطوة أولى للوصول إلى لسان الثقافة الإسلامية الذي هو اللسان العربي الفصيح . و لا تتنافى هذه الحقيقة مع تمسك كثير من الجماعات بلغاتها المحلية غير أن هذه اللغات لم تزاحم في يوم من الأيام لغة الأمة و لغة الثقافة الإسلامية التي كانت تحل محل البنية العليا منذ ظهور الإسلام بهذه البلاد و سواء تعرب الناس عن طريق المدن ، أو عن طريق البوادي ، سواء تركوا لهجاتهم الأصلية نهائيا أو حافظوا عليها مع اكتساب العربية كلغة للأمة

الإسلامية التي ينتسبون إليها من أعماق شعورهم ، فان أنواع التعريب كلها راجعة إلى الثقافة الإسلامية ".

و من أبرز النتائج التي أسفر عنها فتح العرب لشمال إفريقيا هو اختفاء المسيحية من هذا الإقليم اختفاءا تدريجيا ، و لكنه يكاد يكون تماما ، و دلك لأنهم لم يعتنقوا الإسلام فحسب بل أصبحوا من أكثر أنصاره تعصبا له و دفاعا عنه ، و خير برهان على ذلك مما ظهر من معجزات البيان على لسان القائد طارق بن زياد في تلك الخطبة المؤثرة في فتح الأندلس. ويكشف لنا غوستاف لويون عن إعجابه من تعرب البربر فيقول :" و تعربت البربرية كما تعرب البربر أنفسهم مع ذلك فيتألف نحو ثلث البربرية التي يتكلم بها سكان منطقة القبائل الكبرى – الزواوية بالجزائر– من كلمات عربية ".و حسب المؤرخ الراحل توفيق المدني " أخذ البربر عن الجند العربي و رجال العلم دين الإسلام و اللغة العربية و أرسل إليهم فيما بعد (الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه) عشرة من أكابر الفقهاء لتعليمهم أصول الديانة الإسلامية و تثقيفهم بالثقافة الإسلامية ".

و بعد عصر الولاة المسلمين الذين كانت تعينهم الدولة الأموية في دمشق تعاقبت على أرض الجزائر عدة مماليك و دول إسلامية منذ فتح البلاد على أيدي حسان بن نعمان إلى فترة الحماية العثمانية، ساهمت بعضها في تطوير الثقافة و اللغة.

1 – الدولة الرستمية : (160 – 296) ، (776 . م – 909 . م)

ليس هناك دولة من الدول الإسلامية الجزائرية كانت تداني حضارة هذه الدولة مما بلغته من الرقي والازدهار المادي ، و الأدبي حيث كان بالجزائر من العلماء و الأدباء و الشعراء والفقهاء، ما يحق لها أن تفتخر بهم يومئذ على البلاد ، فقد تركوا بصماتهم على كل جوانب الفكر الفقهي و الفلسفي و الجدل ، وعلم الكلام و في النظريات الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية ، والأخلاقية ، و لا يزال تأثيرها العلمي و الفكري ، و المذهبي إلى يومنا هذا في مواطن عديدة بالجزائر

مثل أبي الفضل أحمد التاهرتي ، و النعمان بن المنذر و هو من تلامذة الإمام سحنون ، ويكفينا الاستدلال على ذلك بنبوغ أمثال يهوذا بن قريش التاهرتي فانه كان متطلعا في كل من اللغات العربية والعبرانية و الآرامية و الفارسية و البربرية ، و قد كان أئمة هذه الدولة ورؤسائها يعقدون مجالس العلم و التعليم يعلمون الناس و يلقون عليهم بأنفسهم دروسا عامة بالمساجد في فنون من العلم المختلفة ، ولهؤلاء الأئمة و الولاة عناية شديدة بجمع الكتب النادرة و جلبها من أي مكان كانت فتكونت لهم بذلك خزانة دار الإمارة المشهورة بمكتبة قصبة المعصومة و كان فيها من نوادر المخطوطات و نفائس الكتب ما يؤسف لفقدها اليوم، و لقد فقدت في الاحتلال الفاطمي بينما الحال في الجزائر ازدهار إذ كان شارلمان إمبراطور فرنسا

الأكبر في القرن الثاني الهجري و الثامن الميلادي يحاول أن يتعلم و يتحبب إلى الآداب تحببا ساذجا كما يحب غير المتعلمين أن يروا أحيانا السطور المكتوبة ، إذ لم يكن في فرنسا شيء يشبه الأدب .[1]

2 – الدولة الادريسية : (172 – 301) ، (788 . م – 923 . م)

أما عن الحياة الثقافية و الحركة العلمية فلا نعلم عنها يومئذ إلا هذه المؤسسة العلمية الضخمة التي أحدثت بفاس : جامعة القرويين (245–859. م) التي هي أقدم الجامعات بعد جامعة الزيتونة ، فكثر وفود العلماء عليها من كل ناحية وصوب ، و خاصة أهل القيروان والأندلس إضافة إلى مسجد أغادير بتلمسان و مدينة البويرة شرقي الجزائر العاصمة .

3 – الدولة الأغلبية : (184 – 296) ، (800 . م – 909 . م)

يمتاز عصر الأغالبة بكثرة عقد الرحلات في طلب العلم ، و كتب التراجم حافلة بذكر أسماء العلماء من أهل المغرب الذين أخذوا علمهم عن مالك و ابن القاسم و محمد ابن الحسن و إضرابهم من أئمة المشرق و شاع بين الناس التعليم العام و الخاص في المساجد و الكتاتيب ، و غيرها على الخصوص علم الفقه و التشريع . و لقد خصص الخليفة المنصور الجزائر ببعثة من الفقهاء ، فجاءت إلى هنا واستقرت بمدينة مرسى الحرز القالة . و كان مما أنيط بهذه البعثة علاوة على ما عهد إليها من نشر الأحكام الشرعية بين الناس أنها تتولى جباية أموال الزكاة ، و ما فعل ذلك المنصور إلا خدمة للدين ، وذلك لعلمه بشدة حاجة الناس إليه يومئذ حيث أنهم لا يزالون حديثوا عهد بنظام الإسلام و قوانينه التشريعية فكثير من الجزائريين اشتهروا بالتفوق الأدبي و حازوا على الرئاسة في العلم ببلده و في غيرها كذلك مثل محمد بن الحسين الطبني، كما انتشرت يومئذ بالمغرب علوم الحكمة و الفلسفة و الطب على يد العالم الحكيم أبي يعقوب إسحاق بن عمران البغدادي.

4 – الدولة العبيدية الفاطمية : (296 – 361) ،(909 .م – 972 .م)

لم تطل إقامة الدولة العبيدية بهذه البلاد حتى تتمكن من بسط حضارتها بهذه الأقطار ومع ذلك فقد نهجت في سيرها نهج الدول المثقفة التي تسعى لتوطيد ملكها وتثبيت حكمها بأساليب الحكمة والعدل وهي في ذلك تنافس دول العباسيين بالمشرق والأمويين بالمغرب ويبدو أن الدولة العبيدية عملت علي نشر الثقافة الإسلامية وخدمة العلم بمختلف الألسن واللغات ، فقد احتفظ لنا التاريخ بوثيقة ملكية يصرح فيها الخليفة المعزّ بأن دعاته منتشرون في الإقليم يدعون إلى الدولة ، ويبشرون بأيامها ، وينشرون علمها وينذرون بأسها بتصاريف اللغات و اختلاف الألسن

1 عبد الرحمن بن محمد الجيلالي ،تاريخ الجزائر العام ج1 ،ديوان المطبوعات الجامعية ،ط7 ،1994 .م ،الجزائر، ص187 ،203 .

و هو نفسه كان يحسن لغات جميع الأمم التي تتصل بالخلافة العبيدية كالبربرية والرومية والايطالية . علاوة علي توسعه في علوم اللغة العربية ، ومما يدل علي انتشار الروح العلمية يومئذ كثرة خلق الجدل والبحث بين علماء الشيعة ومعارضيهم من أهل المذاهب الأخرى فكان ذلك أول عهد المغرب بالفلسفة ومباحثها الممتزجة بعقائد الشيعة .

5- الدولة الزيرية الصنهاجية :

لقد بلغت الثقافة أوجها و انتشار العلم والأدب يومئذ حيث اجتماع مائة شاعر على باب المعز بن باديس ونبوغ أمثال الحكيم ابن عمرون الوهراني وابن رشيق ألمسيلي.

6 – الدولة الحمادية : (405 -547) ، (1014 .م -1153 . م):

إن من ينظر إلى تاريخ الجزائر في أيام حكومة بني حماد يجده من أحفل العصور ثقافة . فلقد كانت المدارس والمعاهد والمساجد حافلة بدروس العلم والمجالس العلمية، وكانت المنح والجوائز الدولية توزع على العباقرة وأرباب القرائح المبرزين في علم الفن، علي مثال ما تصنعه الدول الراقية المعاصرة اليوم. فازدحم يومئذ علي المعاهد الكثير من العلماء و الحكماء والأطباء و الشعراء ، وأهل الفنون الرياضية والهندسة . أم عواصمها تحمل الكثير من جلة علماء الأندلس و الشام و مصر ، والحجاز ، والعجم رغبة منهم في الاطلاع على عمرانها و الاستقاء من حضارتها كما استفادت الجزائر منهم بدورها علمهم وثقافتهم الشرقية اللامعة ، ولقد بلغ من إقبال الناس على العلوم يومئذ أنه كان يجتمع على المدرس الواحد مائة طالب ، ولا فرق في ذلك بين المسلم و غيره ، فترى المدرس يلتقي طلبته على اختلاف مللهم وأجناسهم ، وقال شارل سنيوبوس في كتابه تاريخ الحضارة " كان أهل بيزا الايطاليون ينزلون مدينة بجاية في الجزائر فتعلموا من مصانعها صنع الشمع ومنها نقلوه إلى بلادهم والى أوروبا ، ولا يزال مسمي الشمع عندهم بوجي وهو اسم بجاية في نطقهم الإفرنجي ، وبها تعلم الرياضي والمهندس الايطالي العظيم "ليونارفيوتشي" العلوم الرياضية وخاصة منها علم الجبر والمقابلة وأدخلها إلى أوروبا .

ولقد عرف علماء الجزائر يومئذ منزلة الاختصاص أو التخصيص في نواح من العلم فكانوا يجتهدون في التخصص في العلوم ، و أعجب من ذلك أن هناك من العوام و أشباههم من كان يحفظ عن ظهر قلب من أمهات كتب الفقه و الحديث كصحيح بخاري و مدونة سحنون . [1]

7 – الدولة المرابطية : (472 - 539هـ) ، (1079 .م – 1145 .م) :

اشتد تعلق أمراء هذه الدولة بعلماء الدين حتى كان بلاطهم لا يخلو من عالم أو فقيه أو أديب ، كابن تشفين الذي نبغ في المغرب بأيامه كثير من ذوي القرائح و أرباب الحرف

1 د عبد الرحمن بن محمد الجيلالي ،تاريخ الجزائر العام ج 1 ،ديوان المطبوعات الجامعية ،ط 7 ،1994 .م ،الجزائر ،ص 223 .

والصناعات و المهندسين ، وكان ممن اشتهر في الجزائر يومئذ من أهل الثقافة العالية أبو عبد الله بن سحنون و محمد بن أحمد.

8 – الدولة الموحدية : (514 – 668) ، (1130 . م – 1269 .م) :

كان التعليم ينقسم إلى ابتدائي فثانوي فجامعي حيث تنافس الناس في هذا العهد على طلب العلم و نبغ كثير من العلماء منهم ابن طفيل . كان المرابطون فضلا عن نزعتهم الدينية الخاصة يتسمون بالبداوة والخشونة و يضطرمون بالأفكار الرجعية العتيقة فركدت في ظلهم دولة التفكير و الأدب، التي كانت مزدهرة في عهد الطوائف بالأندلس. و كان حكم الموحدين يتسم كذلك بطابع ديني عميق بيد أنهم بالرغم من ذلك أوسع آفاقا و أكثر تسامحا ، و كانت دولتهم إلى جانب صبغتها الدينية تتسم بصبغة علمية ، إذ كان مؤسسها المهدي من أئمة التفكير الديني ، وكان أول خلفائها الزمنيين عبد المؤمن بن علي ، و انطلقت في عهدهم حرية التفكير و البحث ، و كانت قد قيدت في عهد المرابطين . و إذا نظرنا إلى نشاط ملوك هذه الدولة و ما كانوا عليه من التعمق في فنون العلم والأدب و الحكمة و الفلسفة، أدركنا حياة الشعب العلمية، و ما بلغه المغرب العربي يومئذ من العرفان و التقدم. إذ كل ممن تملك أو ترأس هذه الحكومة كان كوكبا لامعا و نبراسا ساطعا في العلم. و يؤثر على الخليفة أنه كان أعلم الناس بآداب العرب و لغتهم . و إلى الخليفة الموحد يرجع الفضل في نشر فلسفة أرسطو على الناس ، و شرحها شرحا وافيا ، بعد أن كانت غامضة مندثرة ، فان المؤرخين أجمعوا على عناية هذه الدولة بشأن التعليم و التعليم عندهم كان يشمل الذكور و الإناث و فيه من التعاليم الرياضية و الحربية ما يشبه النظم العصرية بالمدارس الرسمية اليوم . و من شدة رغبة عبد المؤمن في العلم و تعلقه بأهله و اتساع أفقه لتلقي كل ما يمت بصلة إلى المعرفة ، أن رفع الحظر عن طائفة من الكتب التي كان أن حذر المرابطون من قراءتها و عمل على بعث النشاط في الشعب لنشر الكتب على اختلاف مشاربها بل وقد سمح بقراءة مثل هذه المؤلفات على كراسي المساجد ، و هذا نقيض ما كان عليه الأمر أيام حكومة المرابطين .[1]

9 – الدولة الحفصية : (627 – 943) ، (1229 .م – 1536 .م) :

كان التعليم يومئذ منتشرا بواسطة الكتاتيب و المساجد التي هي معاهد الإسلام العلمية منذ وضع الرسول صلى الله عليه و سلم حجر مسجد الإسلام بالمدينة من أول يوم إلى الآن و يكفينا أن نعلم أن ما ذكره ابن خلدون في مقدمته الحافلة من أنواع جميع العلوم و المعارف و الفنون والصناعات إنما كانت كلها تدرس في المساجد و لقد تلقاها هو نفسه فيها .

[1]–عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص 76–78.

إن حركة التأليف كانت مطردة بالجزائر كما تشهد بذلك كتب التراجم ، و فهارس العلماء، فان مقدمة ابن خلدون وضعها مؤلفها بالجزائر بقلعة بني سلامة ، و هناك كثير من العبقريين النبغاء (ثقافة وعلما و أدبا) الذين أنجبتهم الجزائر الحفصية . و أما علوم اللغة و الأدب فإنها كانت تدرس بالجزائر في كتاب سيبويه و الإيضاح لأبي علي الفارسي ، و قد تعدد في هذا العصر وضع الكتب في علم أسرار الحرف و الطلسمات و السيمياء و كان فيمن اشتهر بالتخصيص في هذا الفن من حكماء الجزائر الشيخ أبو العباس أحمد بن علي ألبوني منصف كتاب شمس المعارف . و رغم كل ما ذكرنا من تقدم الحضارة وتوفر أسباب الثقافة و المدنية في هذا العصر فقد سجل التاريخ عجز دولة الحفصيين عن وقاية المغرب من سقوطه من قمة مجده الشامخ التي تبوأها أيام دولة الموحدين .

10 – الدولة المرينية : (668 – 796) ، (1269 . م – 1393 . م) :

لقد عرف هذا العصر في حركته العلمية عند المؤرخين بعض إنشاء المدارس والمعاهد وترسيم العلماء والمدرسين غير أننا نرى القوم يومئذ تغلب عليهم علوم الشريعة و الدين ولاحظ لهم في غيرها من الفنون العقلية إلا قليلا مما جاءهم من علماء الأندلسيين أو المشارق ، وذلك لأن العلوم الفلسفية نشأت هنا علي أيدي أفراد متفرقين حركتهم الرغبة إليها فهم متفرقون لا تربطهم مجالس . و رغم أن هناك الكثير من التعقيد و الالتواء في طرق التحصيل يومئذ، فانه نبغ بالقطر الجزائري في هذا العصر علماء اشتهروا بالزعامة في العلم و الرئاسة في الدين. ونأسف لمدينة الجزائر نفسها فإنها لم تكن يومئذ بدار علم ولا مرجعا للتحصيل . و قد اشتهر ملوك هذه الدولة بنصرة العلم والأخذ بيد العلماء ، فان مجالسهم كانت لا تخلوا من طائفة كبيرة منهم ، وخزائنهم مملوءة بمختلف المؤلفات النفيسة في شتى أنواع الفنون ولم يكن ليشغلهم عن جلب الكتب إلي المدارس والمساجد وتوزيعها علي المعاهد العلمية ، بل و حتى في أحرج المواقف وأشدها فان عنايتهم دائما وأبدا مصروفة إلى العلم .

11 – دولة بني عبد لواد (الزيانية): (633 – 962)، (1235.م–1554 .م):

تحتفظ لنا المجموعة التاريخية الكبرى التي شارك في وضعها نخبة من أفاضل العلماء في القديم والحديث كالأخوين يحي وعبد الرحمن ابن خلدون بتاريخ سير الحركة العلمية بالجزائر ،ضمن تراجم طائفة عظيمة وعدد وافر من نوابغ العلماء وأرباب القرائح الذين أنجبتهم الجزائر فكرسوا حياتهم لخدمة العلم ونشر الثقافة بين هذه الأرجاء المغربية وخاصة منها هذه البلد وإذا كانت الجزائر تمتاز عن جارتها في اتخاذها لمراكز الثقافة بتعددها و انتشارها في الوطن ، تقاسمت فيما بينها حمل لواء الحضارة العربية الإسلامية ،فإنها أضحت يومئذ تفاخر الشعوب

بأبنائها البررة البارزين في الحقل العلمي وتعتز بهم كثيرا ،وكان من معاهد العلم الشهيرة بتلمسان مدارس كثيرة منها المدرسة اليعقوبية.[1]

الجزائر في ظل الحكم التركي العثماني : (1518 .م- 1830 .م) :

كانت القوة المتعاظلة لاسبانيا في بداية القرن الرابع عشر خاصة بعد قضاءها علي دولة الأندلس المسلمة باتت تقلق الجزائريين شعبا وحكاما ، ومع بدايات النهضة الأوروبية وعصر الاكتشافات الجغرافية ، شرعا الاسبان في الهجوم على سواحل الجزائر و اشتدت هجوماتهم تلك بعدما احتلوا مواقع هامة من الساحل الجزائري ، فاستنجد الجزائريون في عام 1518 م بالإخوة بربروس العثمانيين الذين لبوا نداءهم وطردوا الغزاة الراسبان .

إننا إن أمعنا النظر في الفترة الممتدة بين 698.م، 1554.م تاريخ انضمام الجزائر إلى الإمبراطورية العثمانية وهذا بعد تولي أحد الإخوة بربروس الحكم في الجزائر كممثل للباب العالي.[2]

كان إنتاج القرن التاسع في الواقع خاتمة لإنتاج فترة امتدت ثلاث قرون مبتدئة بعهد الموحدين وكان في نفس الوقت فاتحة لإنتاج عهد العثمانيين بالجزائر وهو العهد الذي انتهى بدوره سنة 1830.م وأثناء دراستنا لإنتاج هذا القرن سيتضح أنه كان حلقة بين إنتاج عاش في ظل إمارات محلية ضعيفة وإنتاج عاش في ظل احتلال إسلامي مركزي قوي ، ويعتبر إنتاج القرن التاسع رغم ذلك من أوفر إنتاج الجزائر الثقافي ومن أخصب عهودها بأسماء المثقفين أو العلماء والمؤلفات .

و رغم الاضطرابات السياسية إلا أن هناك بعض المدن تنمو بعدد سكانها وتشع بمدارسها ومساجدها ثقافة يتغذي منها المجتمع روحيا و عقليا ومن هذه المدن تلمسان وقسنطينة ... الخ وكان التعليم بهذه المدن منتشرا بجميع مستوياته في المدارس و المساجد وفي الزوايا التي أخذت تنتشر وقد كان لهجرة الأندلسيين أثر كبير على المجتمع الجزائري من جميع النواحي ، ولعلّ القرن التاسع قد شهد أكبر موجة من موجات هذه الهجرة ، وكانت طبقات المهاجرين تختلف ثروة وثقافة وجاها إذ احتكر الأندلسيون ميدان التعليم في المغرب العربي ولاسيما في الحواضر ونقلوا طريقتهم الخاصة بهم إليها وأضافوا إلى تعليم حفظ القرآن تعليم الحديث ، والقواعد العامة لمختلف العلوم ، كما علّموا روايات القرآن وأنواع قراءاته ، أما التعليم العالي فقد كان يعطى في المساجد والزوايا ودور العلماء ومجالس المناظرة وكان أكثر انتشارا في المراكز الأولى منه في الثانية ، وكان يعتمد في أغلب الأحيان على النقل والرواية لا على الرأي والاجتهاد.[3]

---

1 عبد الرحمن بن محمد الجيلالي ،تاريخ الجزائر العام ج2 ،ديوان المطبوعات الجامعية ،ط7 ،1994 .م ،ص 248،250.

2 عفاف عنيبة ،اللغة العربية في الجزائر بين الوجود والتغييب ،2010 ،الجزائر.

3 محمد الطالبي ،الهجرة الأندلسية إلى إغريقية أيام الحفصيين في(الأصالة) ،ص64 .

وهذه الطريقة بعينها استمرت أيضا خلال العهد العثماني ولكن مع ضعف ، تبعا لضعف الأحوال العقلية وانتشار الدروشة و الخرافات وقد شمل التأثير الأندلسي أيضا ميادين النحو والأدب والعلوم والموسيقى. ومن أبرز ما تميز به القرن التاسع في الجزائر ظهور عقيدة المرابطة وانتشار الزوايا وافتتاح عهد التصوف ، وهذه الظاهرة هي التي سنجدها تزداد انتشارا وإغراقا في القرون الثلاثة اللاحقة للعهد العثماني ، ولا شك أن وجود هذه الظاهرة كان يعود بالدرجة الأولى إلي ضعف الدولة أمام الانحلال الداخلي والخطر الخارجي . إن التصوف قد ظهر في المشرق قبل ذلك بقرون ووجد طريقه إلي المغرب العربي في حينه ولا سيما مذهب الغزالي الذي كان له في الموحدين أنصار ودعاة . أما بالنسبة للأدب واللغة بينما كان الأدب يمتاز ببعض المؤرخين فبغرب البلاد وشرقها وكان الشعر وفيرا غير أن روح التصوف طغت عليه ، أما النثر فقد ظل يشع من وقت لآخر قابله ضعف للإنتاج اللغوي، كالدراسات النحوية والقاموسية وكانت تقتصر على تعاليق سطحية في النحو والصرف .[1]

والحياة الثقافية عموما في ظل الحكم العثماني خاصة طيلة القرنين الأوليّن من الحكم تعاني من الركود الثقافي ذلك أنه قبل مجيء الأتراك كانت معظم المدن الجزائرية تعيش حركة ثقافية وفكرية ودينية تضيء بنور معرفتها على جميع أرجاء القطر الجزائري وخارجه.[2]

وقد كانت قسنطينة وتلمسان والعاصمة أهم المراكز الثقافية في البلاد . وكانت لبعض الحكام الأتراك أياد بيضاء في تشجيع بناء المساجد والمدارس. وأكثر الولاة الأتراك فقد كانت جهودهم متجهة إلي حركة الجهاد ، لقد انتشر التعليم في كامل أنحاء القطر حيث اضطلع بهذه المهمة كثير من رجال الدين وحفظة القرآن الكريم في المساجد والزوايا والمؤسسات التعليمية الأخرى وإذا كانت طرق التدريس لم تتطور فان جميع الجزائريين قبل الاحتلال كانوا يحسنون القراءة والكتابة ، وعلي الرغم من ذلك فلم تحدث بالبلاد نهضة علمية تواكب ما يحدث في أوروبا من حركة علمية ، ولا شك أن سقوط حكومة الأتراك وخضوع المجتمع الجزائري إلى هذا الاحتلال ما يزيد عن قرن انما جاء نتيجة تلك الصراعات والمنافسات اللاشريفة من أجل السلطة والإمارة وغياب العدل الذي هو أساس الملك والفشل الذريعة في كل الميادين بعد الانصراف والانغماس في الشهوات والملذات[4] وصدق الله العظيم إذ يقول :" وما كنّا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون." سورة هود آية 59

مشاريع الاستعمار الفرنسي في تشويه الهوية

كانت فرنسا و رجال التبشير المسيحي يحاول طويلة عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر (1830. م – 1962 .م) بفرض سياسة تعليمية متمثلة في الفرنسة و التنصير و الإدماج

1 أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي 1500 1830 ج1 ،دار الغرب الإسلامي ،ط1 ،1998،ص 46 .
2 د- عبد الحميد حاجيات ،الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان ، مجلة الأصالة ،1975 .م ،ص136 ، 155 .

والأهداف التي كانت ترمي إلى تحقيقها من وراء تلك السياسة فهي بصورة رئيسية محو الشخصية الجزائرية من الوجود عن طريق محو مقوماتها الأساسية و هي الإسلام و العروبة و الوطنية الجزائرية ، تمهيدا لذوبان الجزائر الكامل في فرنسا و سلخها نهائيا من جسم العروبة والإسلام ومن هنا يمكن أن نقول أن الاستعمار حاول تشويه الهوية الجزائرية و اللغة العربية . فقد بذل أقصى جهوده منذ دخوله إلى خروجه في طمس معالم اللغة وإحلال محلها المعالم الفرنسية.

أولا: الفرنسة:

الواقع أن سياسة الفرنسة الشاملة التي سار عليه الاحتلال في التعليم بالنسبة للجزائريين والتي شملت كل مجالات الحياة و الثقافة و الإدارة في البلاد. والهدف منها هو محاولة صبغ البلاد بصبغة فرنسية خالصة في كل صغيرة و كبيرة حتى تنقطع جميع الروابط التي تربط الجزائر ماضيا و حاضراومستقبلا بثقافتها و لغتها القومية ، و تاريخها الإسلامي ، و انتمائها الحضاري إلى الأمة العربية حتى نشأ الأجيال الجزائرية الصاعدة في ظل هذه السياسة المرسومة نشأة ممسوخة في كل شيء فقد كانت حركة الاستعمار الثقافية و التعليمية تحاول فرض رؤيا استعمارية و تفكيرا مغايرا تماما لرؤية و تفكير مجتمعنا [1]، فالثقافة الفرنسية تسعى لتحقيق مشروع فرنسة الجزائر و استئصال مجتمعنا من مقوماته الأساسية كما دل على ذلك تقرير فرنسي بهذا الصدد محاولة اطلاع الشباب الجزائريين على حضارة (المستعمر) وتقاليده و كل معارفه ليصبح هؤلاء الشباب عناصر مفيدة ووسطاء بين إخوانهم في الدين والفرنسيين . كما أعلن الدوق " دي روفيقو" قائلا : " إن المعجزة الحقيقية التي يمكن صناعتها في الجزائر هي إحلال اللغة الفرنسية شيئا فشيئا محل اللغة العربية ..." . و لتوطيد ركائز الاستعمار بمختلف إشكالية السياسية والاقتصادية و الاجتماعية، رفعت جهات استعمارية شعارات زائفة منادية بالتعليم من أجل الفتح تارة والعلاج من أجل الفتح تارة أخرى و غيرها من الشعارات...فقد جاء في تقرير فرنسي آخر ما يلي " إن التعليم يهذب الأخلاق و يلين القلوب القاسية جدا فربطها بالحكومة الفرنسية فعلا إن التعليم يهذب الأخلاق و هي كلمة حق أريد بها باطل، مادام هذا التعليم يربط الجزائري بالفرنسي قلبا و قالبا. و ظلت النظرة الاستعمارية بعيدة الطموح لجعل من المدرسة وسيلة نحو تحقيق غاية ألا وهي توغل الوجود الفرنسي بإفريقيا. وكان هذا التيار الفرنسي يسير على حساب المدارس العربية الحرّة و ذلك باستبدال بعضها بالمختلطة ، و قد تدعم هذا التيار خلال فترة الحاكم العام " ماكماهون" ما بين سنتي (1864 .م

1 د رابح تركي ،التعليم القومي و الشخصية الوطنية ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،1975 . م ،ص 104 .

– 1870 .م) ذلك أن مرسوم 2 ماي 1865 أعاد إحياء مرسوم 14 جويلية 1850 بالنسبة للسياسة التعليمية التي تستهدف الفرنسة و قبر التعليم العربي ."

و إذا كان بعض الكتاب الفرنسيين يرجعون فشل سياسية الفرنسة في الجزائر إلى الزوايا التي ظلت منتشرة في البلاد ، إلا أن تلك الزوايا – في الواقع – كان دورها واضحا إلى غاية ثورة المقراني عام 1872 .م ، أما بعد هذا التاريخ فقد سار بعضها في خدمة الاستعمار الفرنسي لصرف أنظار الأهالي عن تحرير البلاد .[1]

ثانيا: التنصير

و نعني بالتنصير محاولة إخراج الجزائريين من دينهم الإسلامي و تنصيرهم كي يصبحوا مسيحيين يحملن عقيدة المحتل لبلادهم و هذا يعني إحلال الديانة المسيحية محل الديانة الإسلامية في الجزائر ، حتى ينهار مقوم آخر من مقومات الشخصية الجزائرية وهو " الإسلام" إذ لم يمض على احتلال الجزائر سوى شهران حتى أصدر إثرهما المحتل أمرا في 8 سبتمبر 1830 .م يقضي بالاستيلاء على الأوقاف الإسلامية التي تمول الخدمات الدينية والثقافية و التعليمية والاجتماعية للمسلمين الجزائريين على الرغم من الاتفاق المعقود بينهم و بين الحكومة الجزائرية في 4 جويلية من نفس السنة حيث تعهدوا فيه باحترام الدين الإسلامي و أوقافه ومعاهده و احترام ملكية الجزائريين و حريتهم الدينية .[2]

لقد كان الجنرال " بيجو" يجمع الأطفال الجزائريين اليتامى و يأتي بهم إلى القسيس فيسلمهم له قائلا " حاول يا أبتي أن تجعل منهم مسيحيين ، و إذا فعلت فلن يعود إلى دينهم ليطلقوا علينا النار ".[3]

وقد صرّحت فرنسا غداة احتلالها لعاصمة البلاد في عام 1830 . م بأن من جملة أهدافها من وراء عملية غزو الجزائر هو العمل على نشر المسيحية فيها و القضاء على الإسلام ، فقد أعلن سكرتير الحاكم العام الفرنسي للجزائر بأن هذه السياسة رسميا فقال " إن آخر أيام الإسلام قد دنت و في خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر اله غير المسيح . و نحن إذا أمكننا أن نشك على أي حال بأنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد " . بمعنى أن السلطة الاستعمارية كانت تبحث على تكوين و منذ الصفوف الأولى من التعليم ، نموذج الإنسان الجزائري المستلب الذي يرى نفسه جزء لا يتجزأ من فرنسا فيتنكر لأصوله البربرية و يتنصل من لغته العربية ويتبرأ من دينه الحنيف . و في عام 1907 . م و بعد صدور قانون فصلت الدين عن الدولة.

1 د صالح فركوس ،المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين ،دار العلوم للنشر والتوزيع ،ص 205 .
2 د. رابح تركي،الشيخ عبد الحميد بن باديس ،فلسفته و جهوده في التربية و التعليم ،الجزائر ،1974 .
3 د . صالح فركوس ،المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين ،دار العلوم للنشر والتوزيع ،ص 215 .

وقد و قد كانت تمنح الجنسية الفرنسية إلى الجزائريين و لا يتمتع الفرد الجزائري بحقوقه كاملة كمواطن فرنسي إلا إذا مل تخلى عن دينه و لغته و تنصر و تبنى اللغة الفرنسية و هيهات أن يعامل كمواطن فرنسي. و قد عمل الجنود و المبشرون و المسيحيون للاستعمار على تنصير أكبر عدد من الجزائريين و قد رأوا في اللغة العربية العدو اللدود الذي يمنعهم من تحقيق أهدافهم الخسيسة ، فهم يعتقدون جازمين بأن نجاحهم في القضاء على اللغة العربية سوف يسهل لهم القضاء على الإسلام وتسهل عليهم مهمة تنصيرهم . فاللغة العربية كانت الحبل السري الذي يربط الجزائري بدينه و ربه، فالاستعمار الفرنسي عدو سافر للعرب و عروبتهم ولغتهم ودينهم.

و قد انحصر تعليم اللغة العربية في العهد لاستعماري في الكتاتيب و المساجد و الزوايا، ولكن سرعان ما تفطن الاستعمار إلى هذا الخطر الذي تمثله هذه الزوايا، التي ستنجب آجلا أم عاجلا أجيال متمسكة بهويتها البربرية العربية المسلمة فعمل على محاصرتها. و في هذا الصدد يقول البشير الإبراهيمي " أن الاستعمار الفرنسي صليبي النزعة ، فهو منذ احتل الجزائر عامل على محو الإسلام لأنه الدين السماوي الذي فيه من القوة ما يستطيع به أن يسود العالم ، و على محو اللغة العربية لأنها لسان الإسلام ، و على محو العروبة ، لأنها دعامة الإسلام و قد استعمل جميع الوسائل المؤدية إلى ذلك ، ظاهرة و خفية ، سريعة و متأنية . [1]

و أوشك أن يبلغ غايته بعد قرن من الزمن متصل الأيام و الليالي في أعمال المحو، لولا أن عاجلته جمعية المسلمين الجزائريين (1838. م – 1962.م) على رأس القرن بالمقاومة لأعماله، و العمل على تخييبا آماله ".[2]

و هذا ما يفسر السبب الذي من اتجه رجال الرعيل الأول من قادة الحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر إلى التعليم العربي الإسلامي دون الاتجاه مباشرة إلى تكوين الأحزاب السياسية على غرار ما كان يفعله معظم قادة الجزائر منذ مطلع القرن الحالي الميلادي .

ثالثا: الإدماج

و نعني بالإدماج الذي كان هو الأساس الثالث الذي قامت عليه سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر ، إذابة الجزائريين في الكيان الفرنسي العام و بذلك لن تقوم للجزائر كجزء لا يتجزأ من العالم العربي الإسلامي قائمة في يوم من الأيام ، بعد أن ينسلخ الجزائريون من دينهم ، ولغتهم، و جنسيتهم ، و بالتالي من حضارتهم العربية الإسلامية . و يجتثوا منها اجتثاثا كما وقع للعرب المسلمين في الأندلس منذ قرون ، فقد كانت سياسة الاحتلال منذ البداية تخطط ادماج الجزائر في فرنسا عن طريق ربطها سياسيا ، و إداريا ، بفرنسا و هضمها ثقافيا و روحيا ، و لغويا ، في الشخصية القومية الفرنسية ، باعتبارها الشخصية المسيطرة عليهم سياسيا و المتحكمة فيهم

1 عمر فروخ و مصطفى خالدي ،التبشير و الاستعمار في البلاد العربية ،بيروت ،سنة 1953 .م ،ص 25 .
2 صالح مختاري ،أسرار الاستيطان الأوروبي الفرنسي على الجزائر المحروسة ،2004 .م ،الجزائر .

إداريا ، و عسكريا و بذلك يتم القضاء على شخصيتهم القومية تدريجيا حتى تذوب نهائيا في الشخصية الفرنسية في نهاية المطاف .[1]

أما مفهوم الإدماج من الناحية السياسية فهو يعني " جعل الجزائريين سياسيا، و اقتصاديا ، واجتماعيا فرنسيين يتمتعون بالحقوق السياسية الفرنسية التي يتمتع بها الفرنسيين داخل بلادهم وخارجها ، و يتلقون التعليم الذي يتلقونه ، و يرقون إلى الوظائف العامة بالطرق ذاتها التي تحولها القوانين الفرنسية للفرنسيين كما لهم نفس الميزات الاجتماعية .[2]

و الإدماج في مدلوله العام يتعارض تعارضا كليا مع مقومات الشخصية الجزائرية التي من أركانها اللغة، و الجنسية، و الدين، و الثقافة الوطنية الجزائرية. و الواقع أن الإدماج في السياسة الفرنسية له ظاهر و باطن و هما يختلفان أحدهما عن الآخر اختلافا كبيرا. فظاهره كما قلنا هو تحقيق المساواة بين الجزائريين و الفرنسيين في كل شيء أو بمعنى أصح تحقيق التماثل بين المستعمرة و دولة الأصل .[2]

أما الإدماج في الباطن فهو يعني شيئا آخر مخالفا تمام المخالفة لما يدل عليه معنى الإدماج من مدلولات قانونية، و إدارية و سياسية. لأنه لا ينطبق في الجزائر إلا على الأرض و من عليها من المستعمرين دون السكان الأصليين (الجزائريين) الذي تستهدف السياسة الاستعمارية إقصاءهم وإجلاءهم من أراضيهم.

فالذي يريده المستعمرون (في الواقع) هو دمج أرص الجزائر في فرنسا لا التسوية بين الجزائريين و الفرنسيين في الحقوق و الواجبات ، كما يقضي بذلك منطلق الإدماج ، فهو إذن إدماج بالنسبة للمستعمرين ، و لكنه اخضاع بالنسبة للسكان الأصليين (الجزائريين) .3

و من هنا طبقت فرنسا الإدماج في الجزائر على الأرض و فرنست البلاد في معظم مظاهر الحياة العامة و لكنها لم تطبق الإدماج بمعنى المساواة الحقيقية بين السكان الجزائريين والأوروبيين و إنما طبقته فقط على الجالية الأوروبية أما الجزائريون فقد أخضعتهم لقوانين استثنائية بالغة القسوة بقصد تجريدهم من مقومات شخصيتهم و أرزاقهم عن طريق الإرهاب والقوانين الاستثنائية المذكورة .

رابعا: سياسة التجهيل

إن وضع اللغة العربية بين الجزائريين غداة الاحتلال الواقع أن تعلمها قد تضرر كثيرا حتى كاد يمحى بالقضاء على الأوقاف و هدم المساجد والمدارس و هجرة العلماء ، و كثرة الحروب كاد التعلم باللغة العربية ينقرض كما أن الفرنسيين اتبعوا سياسة التجهيل التي دامت

1 رابح تركي ،التعليم القومي و الشخصية الوطنية ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،1975 .م ،ً 110 .
2 من مذكرة لحزب الشعب الجزائري ،أصدرها بالقاهرة ،بتاريخ 22 يونيو 1954 .م ،ص 7-8 .
3 المرجع السابق ،ص 7-8 .

سبعين سنة فلم ينشروا بين الجزائريين لا العربية و لا الفرنسية و هم يدعون تارة أن الجزائريين لا يقبلون على المدارس خوفا من التنصير ، و يزعمون تارة أخرى أن المال يعوزهم .

و لعل أبرز الأسباب لسياسة التجهيل المعتمدة هو معاقبة الجزائريين على مقاومتهم المسلحة التي دامت كما هو معروف إلى ثورة بوعمامة في القرن التاسع عشر ، كما أن الفرنسيين كانوا يخشون من أن التعليم عموما سيؤدي بالجزائر إلى اليقظ و الاطلاع على أحوال العالم فتكون من بينهم جماعات وأحزاب تطالب بالحقوق السياسية و تحارب الفرنسيين بأسلحتهم . و هذه الصورة للتجهيل لم تنجح تماما ، فقد بقي تعليم اللغة العربية عملية سرية يقوم بها الجزائريون في بيوتهم بالمدن . و في زواياهم في الريف و كان تعليمها متصلا اتصالا وثيقا بحفظ القرآن الكريم للبنين و البنات ، و تعليم أولويات الدين الإسلامي و قد تفطن الفرنسيون منذ العشرينية الأولى من احتلالهم للجزائر إلى خطورة هذه الظاهرة ، فأرادوا السيطرة عليها أيضا ، و ذلك بإدخال اللغة الفرنسية إلى المدارس القرآنية على أن يتولى تدريسها هناك أحد المعلمين الفرنسيين ، و هو الموقف الذي عارضه بشدة الشيخ مصطفى الكباطي .

أما الزوايا الريفية فقد وضع عليها أيديهم بالرقابة المستمرة على شيوخها ، و بضبط برنامجها بحيث لا يسمح لها إلا بتحفيظ القرآن الكريم دون تفسيره أو شرحه ومع شرط آخره أن تكون الزاوية غير خطرة على الفرنسيين و لم تشارك في إحدى الثورات ضدهم . فقد شن الاستعمار الفرنسي حربا ضاريا على اللغة العربية و الثقافة العربية و أغلق في وجهها معاهد التعليم التي أنشأها لتعليم أبناء الجزائر. إلا أن هناك قناة أخرى بقيت العربية تعيش من خلالها وتومض منها و هي المدارس الحكومية الثلاثة التي تأسست سنة 1850 .م و لقد تطورت إلى حد ما حتى أصبحت تعرف باسم المدارس الفرنسية الإسلامية وكانت الدراسة فيها تجري باللغتين العربية و الفرنسية ، فأسسوا المدارس المذكورة في نقاط ثلاثة من القطر الجزائري .

و من مظاهر حرب الثقافة العربية أن الاستعمار الفرنسي عمل على محاصرة الجزائر من كل جانب بهدف إبعادها عن بقية الأقطار العربية حتى لا تتسرب التيارات الثقافية العربية من المشرق العربي إلى الجزائر. و فوق ذلك فقد كانت سياسة التعليم الفرنسية في الجزائر تعمل على نشر عوامل الفرقة والشقاق بين قطاعات الشعب الجزائري و إثارة النعرات التي قضى عليها الإسلام منذ أربعة عشر قرنا وقد تجلى هذا العمل في السياسة البربرية التي أرادت فرنسا من ورائها تقسيم الشعب الجزائري إلى مجموعتين متنافرتين من السكان : إحداها مجموعة عربية اعتبرتها مجموعة مستعربة م الأخرى مجموعة بربرية اعتبرتها مجموعة مستعربة من طرف الأولى بقصد ضرب إحداهما بالأخرى . و قد زعم رجال الاحتلال أن الأمازيغ (البربر) لم يكونوا مسلمين حقيقيين و لذلك فليس من العسير تفريقهم عن العرب و استمالتهم إلى جانب

فرنسا ، من أحل ذلك أكثرت فرنسا من إنشاء المدارس في المناطق البربرية و منعت الحديث فيها باللغة العربية و قصرته فقط على اللهجات البربرية و اللغة الفرنسية .

وضعت فرنسا أهدافها العامة للتعليم في الجزائر من حكومي فرنسي اللغة و البرامج والتوجيه العام، ثم حاولت تنفيذ هذه الأهداف بالوسائل التي ذكرناها و كان هدفها من كل ذلك هو محو الشخصية القومية و ذلك بمحو مقوماته.

الجهود الوطنية في الدفاع عن اللغة.

لمّا كانت اللغة العربية من أبرز مقومات الشخصية الوطنية فان المجتمع الجزائري بقي محافظا على عروبته و لغته داعيا إلى اعتبارها لغة رسمية في المدارس و الإدارة يقول البشير الإبراهيمي :" إن لغة العرب قطعة من وجود العرب و ميزة من مميزاتهم و مرآة لعصورهم الطافحة بالمجد و العلم والبطولة و السيادة ." [1]

كما بقي المجتمع الجزائري متمسكا بها بفضل الزوايا و المساجد التي أدت دورا مميزا في تمكين الناشئة من لغتهم ، حيث بقيت منتشرة في مناطق عديدة ، فشكلت مراكز تعليمية و شبه مدارس أسهمت بدورها في تعميق الحس الوطني " إن العربية في هذه البلاد لم تكن و لن تكون إلا لغة البناء و الجهاد و الشهادة ، و لم تكن الفرنسية ولن تكون إلا لغة الهدم و اللصوصية والخيانة وضرب الأمة في الأصل تجتمع عليها أصوله و هو الإسلام ".[2]

ولقد كان لذلك الواقع و تلك الظروف التي مّرت بها اللغة العربية نتائج لا تزال أثار بعضها ماثلة للعيان ، فكراهية اللغة العربية و القائمين على أمرها كل ذلك ما هو إلاّ من تلك الآثار التي نبتت في النفوس آنذاك ، و التي نمت و قوية حتّى امتدت إلى بعض الناس ممن يعدون أنفسهم من المدافعين عن العربية و الثقافة الوطنية

يقول سلامة موسى :" و حسبنا من مساعدة اللغة العربية على الرقي أن نشخص الداء ونومئ الدواء و ننبه الغافلين و ننصح المعاكسين و أعظم هؤلاء المعاكسون هم الذين تخصصوا في درس اللغة العربية فان تخصصهم هذا قد حال بينهم و بين دراسات بشرية عديدة فضاقت آفاقهم و صاروا ينظرون إلى لغتنا كما لو كانت إحدى اللغات المتحجرة في المعابد ، فلا ينبغي تغيير كلمة أو حتى أسلوب التعبير فيها ، زد على أنهم أصبحوا طبقة لهم وضع اقتصادي ووجدان طبقي ينهضان على استبقاء اللغة العربية في جمودها ، ولذلك يخشون التغيير و يرون فيه هجوما على مصالحهم الاقتصادية ".[3]

1 أحمد بن نعمان ،التعريب بين المبدأ و التطبيق ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ،1981. م ،ص 180
2 مصطفي محمد الغامري ،العربية بين مفهومين ،جريدة الشروق الثقافي ،العدد 6 ،الجزائر ،1993.م ،ص19.
3 موسي سلامة ،البلاغة العصرية واللغة العربية ،مطبعة التقدم القاهرة ،1964 .م ،ص14 ،15.

ولا يسع المنصف إلاّ أن يحكم على هذا الرأي بالشطط و الافتراء على قوم هم من أولى الناس بالثناء و التقدير لقاء ما قدموه من خدمة للغة العربية والمحافظة عليها " إن أزمتنا اللغوية ليست أزمة اللغة ذاتها و إنما هي أزمة التعامل مع هذه اللغة ، أي أن العلة ليست في اللغة وإنما العلة في الذين يتعاملون مع هذه اللغة ".[1]

علينا أن نتجاوز عقدة تاريخنا المليء بالقيم السلبية المتعب بثقافة النسيان ، فنحن لسنا في حاجة إلى القول إن اهتمامنا باللغة العربية ينتج من عقيدة دينية ثم من عاطفة وطنية و قيم حضارية و ضرورات اجتماعية ، هي اللسان المبين الذي حفظه الله مع الذكر الحكيم ، و هي الوعاء الذي يحوي خبرات أهلها و تجاربهم و معارفهم و فنونهم و مثلهم العليا و سائر الضروب ما تنتجهم قرائحهم .[2] بل علينا أن ندرك أهميتها من حيث هويتنا.

من هنا تبدو أهمية اللغة العربية وأهمية تعلمها وتعليمها لا باعتبارها مادة دراسية مقررة فحسب ، ولكن بوضعها محورا أساسيا في بناء الفرد الجزائري بكل جوانبه فقد كانت أداة تحصين و حفاظ علي هوية وشخصية المجتمع الجزائري وقد ظهرت جمعية العلماء المسلمين كرد فعل للواقع اللغوي الذي آلت إليه السياسة اللغوية الفرنسية ، فاتخذت من العربية أداة وحيدة للتعليم " وهو ما كان له انعكاسات في دفع عملية التعليم العربي في الجزائر بعد الاستقلال فإليها يرجع الفضل في تكوين النخبة المفكرة من المعربين، واليها يرجع الفضل في إعادة الاعتبار للغة العربية ".[3] والتي كانت من بين أهدافها " إحياء اللغة العربية و ثقافتها ، والعمل علي نشرها في البلاد بعد أن عمل الاحتلال على وأدها ودفن حضارتها في الجزائر أكثر من قرن من الزمن ".[4] تحت شعار الإسلام ديننا – والعربية لغتنا – والجزائر وطننا – ضد الفرنسة والتنصير والاندماج والتجنيس التي كانت فرنسا تحاول فرضها . لذلك عمل الشيخ البشير الإبراهيمي على بعث اللغة العربية في الجزائر، وخصص لها حيزا كبيرا في كتابته الغزيرة المادة، البليغة الحجة والأسلوب، كما خصص حيزا كبيرا من وقته لتعليمها لأبناء الجزائر. وكان يؤمن إيمانا مطلقا بأن المحافظة علي اللغة العربية في الجزائر وتعني بقاء الإسلام في الجزائر ، وبقاء العروبة في الجزائر وأن محاولة فرنسا القضاء عليها إنما يستهدف عروبة الجزائر وإسلامها في الدرجة الأولي ولذا كان أعضاء جمعية علماء المسلمين الجزائريين (1931.م 1965.م) يواصلون

1 صفوان المقدسي ،اللغة العربية و العصر ،مجلة المعرفة العدد 178 ديسمبر ،وزارة الإرشاد القومي ، دمشق، 1976 ، ص6.

2 محمود حافظ ،اللغة العربية في مؤسسات التعليم العام والعالي ،منشورات مجمع اللغة العربية الأردني ،عمان ، الأردن 1988.

3 عبد الرحمن سلامة ،التعريب في الجزائر ماضيا وحاضرا ومستقبلا ،وزارة الإرشاد القومي ،دمشق ،1976.م ، ص 15.

4 رابح تركي ،التعليم القومي والشخصية الوطنية ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،1975.م ،ص204 .

ليلهم بنهارهم في العمل على نشر اللغة العربية بين أبناء وبنات الجزائر قبل تأسيس جمعية العلماء وبعد تأسيسها أيضا ودعوة فرنسا إلى جعلها لغة رسمية في التعليم والإدارة في الجزائر.

و قد اتجه رجال الرعيل الأول من قادة الحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر إلى التعليم العربي الإسلامي دون الاتجاه مباشرة إلى تكوين الأحزاب السياسية على غرار ما كان يفعله معظم قادة الجزائر منذ مطلع القرن الحالي الميلادي.لقد رأي هؤلاء الرجال بثاقب بصيرتهم أن إنقاذ الجزائر من خطر الفرنسة والتنصير إنما يكون عن طريق واحد فقط هو العمل على إحياء اللغة العربية حتى تعود لها مكانتها في الجزائر كلغة ثقافة وعلم وأدب وإحياء الإسلام عن طريق تطهيره من الخرافات، و الأساطير التي شوهت معالمها حتى أصبح إسلاما جامدا يبعث علي الخضوع والاستسلام ، وصارت فرنسا تطلق عليه اسم " الإسلامي الجزائري " تفريقا بينه وبين الإسلام في مختلف الأقطار الإسلامية الأخرى . وكان قصد رجال الحركة الإصلاحية السلفية (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1830 ، 1956 .م)) من تطهير الإسلام من مختلف الشوائب التي علقت به هي العودة به إلي نقاوته الأولي في عهد الصحابة والتابعين حتى يصبح في العصر الحديث قوة روحية دافعة للجزائريين علي الثورة ضد واقعهم الفاسد من ناحية ، وضد المحتل الغاصب لبلادهم من ناحية أخري . كما كان الإسلام قوة روحية هائلة للمسلمين في العصور الإسلامية الأولي دفعتهم إلى أن يصبحوا القوة السياسية الأولي في العالم كله علي امتداد قرون عديدة.[1]

وتعتبر جهودها في نشر التعليم العربي " الحر" امتدادا طبيعيا لجهود رئيسها الأول " الإمام عبد الحميد ابن باديس " التي بدأها في عام 1913 . م ولكن نطاقها اتسع كثيرا بعد تكوين جمعية العلماء في عام 1931.م وامتد حتى شمل الجزائر من أدناها إلى أقصاها بعد أن كان في عهد ابن باديس قاصرا على قسنطينة و بعض المدن القليلة الأخرى فقط . وقد استطاعت جمعية العلماء بعد سنوات قلائل أن تقوم بجهود ضخمة في هذا الميدان ، وتحقق انجازات كبيرة على مستوي الوطن كله، أثارت الإعجاب عند أصدقائها ، والفزع والخوف لدي دولة الاحتلال ، وقد صمدوا في وجه مناورات الاحتلال ، ومعاكساته، وعراقيله التي أقامها في وجه نشاط الجمعية التربوي ، والإصلاحي ، والثقافي .[2]

يقول الشيخ البشير الإبراهيمي محللا الاتجاه الذي سارت فيه الحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر بعد الحرب العالمية الأولي تحت عنوان " أثر أعمالي وأعمال إخواني في الشعب الجزائري ما يلي :" أثر أعمالي في الشعب بارز لا ينكره أعدائنا من الاستعماريين وخصومنا من إخواننا السياسيين فمن أثرنا بعث الوعي واليقظة في الشعب حتى أصبح يعرف ما له وما

1 صالح مختاري ،من كتاب أسرار الاستيطان الأوروبي الفرنسي علي الجزائر المحروسة ،2004 .
2 رابح تركي ،التعليم القومي والشخصية الوطنية ص 207 .

عليه ، ومنها إحياء تاريخ الإسلام و أمجاد العرب التي كان الاستعمار يسد عليه منافذ شعاعها ، حتى لا يتسرب إليها شيء من ذلك الشعاع ومنها تطهير عقائد الإسلام ، و عبادته من أوضار الضلال ، والابتداع ، و إبراز فضائل الإسلام وأولها الاعتماد على النفس، و إيثار العزة والكرامة والنفور من الذلة و الاستكانة أو الاستسلام ، زمنها أخذ كل شيء بالقوة ومنها العمل . هذه الكلمة الصغيرة التي تنضوي تحتها جميع الفضائل ، ومنها بذل المال والنفس في سبيل الدين والوطن ، ومنها التمسك بالحقائق لا بالخيالات والأوهام ، فكل هذه الفضائل كان الاستعمار يغطيها عن قصد لينساها المسلمون على مر الزمان ، بواسطة التجهيل وانزوا، العقل والفكر وقد أصبح الشعب الجزائري بفضل جمعية العلماء ، وما بذلناه من جهود في محو الرذائل ، التي مكن لها الاستعمار ، وتثبيت الفضائل التي جاء بها الإسلام ، ولو تأخر وجهود الجمعية عشرين سنة أخري لما وجدنا في الجزائر من يسمع صوتنا ، ولو سلكنا سبيلا غير الذي سلكناه في إيقاظ الأمة وتوجيهها في السبيل السوي لما قامت هذه الثورة (ثورة نوفمبر (تشرين الثاني) عام 1954.م) الجارفة في الجزائر التي بيضت وجه العرب و المسلمين "

إضافة إلي جهود جمعية العلماء المسلمين هناك جهود وطنية أخري تتمثل في بعض الجمعيات الخاصة ، الزوايا التعليمية ، جهود حزب الشعب التعليمية ، الجمعيات الخيرية التعليمية في وادي ميزاب كلها ركزت نشاطها علي إبراز وتحقيق مقومات الشخصية القومية للجزائر عن طريق نشر اللغة العربية علي نطاق واسع بين الجزائريين باعتبارها أهم المقومات الأساسية للشخصية الجزائرية بواسطة المدارس والمساجد والنوادي "الحرة " ومن هنا كانت لغة التعليم في معاهد التعليم العربي الحر هي اللغة العربية وحدها ورفضت المنظمات الوطنية بشدة إدخال اللغة الفرنسية في مدارسها حتى لا تزاحم اللغة العربية المحاربة في مدارس التعليم الفرنسي الحكومي ، رغم محاولات الاحتلال فرضها علي معاهد التعليم العربي الحر

إضافة إلي إحياء الثقافة العربية ومحاولة بعثها في ثوب جديد يتلاءم مع تطورات العصر، وذلك عن طريق توجيه الشباب الجزائري إلي العناية بالتراث العربي الأدبي في أزهي عصوره ودراسته دراسة متعمقة . ركزت الجهود الوطنية نشاطها في التعليم العربي ذي الطابع الديني بصفة عامة ، فقد عملت الجهود الوطنية في التعليم العربي على تذكير الجزائريين بماضي ثقافتهم القومية المجيد من ناحية ومن ناحية أخري أيقظت في نفوسهم روح المقاومة الصلبة ضد كل ما يمس العقيد واللغة ، والشخصية القومية للجزائر بصفة عامة .[1]

1 رابح تركي ،التعليم القومي والشخصية الوطنية ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،1975.م ،ص275 ، 258 .

الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية :

هي جمعية ثقافية تم تأسيسها في الجزائر سنة 1990 م بعد عقد اجتماعات تأسيسية في نهاية 1988 م وبداية 1989 م توجهت بانعقاد الجمعية التأسيسية التي كان عدد أعضائها مائة وخمسة أعضاء ، انتخبت مجلس الجمعية ومكتبها و رئيسها الدكتور عثمان سعدي والغاية القصوى من أهداف الجمعية هي ترقية اللغة العربية في المجتمع الجزائري وجعلها أداة علمية فعالة قادرة على تجسيد متطلبات الحياة العصرية في مجال العمل والعلم والتعامل بجميع مظاهره و وتلك مهمة منصوص عليها في جميع المواثيق والدساتير الجزائرية باعتبارها اللغة الرسمية للجزائر .

ومن المهم بمكان تتبع موقف الحركة الوطنية الجزائرية من قضية اللغة العربية والقصد من موقف الحركة الوطنية هنا جهود الجزائريون طيلة الاحتلال في المطالبة باحترام وتعلم اللغة العربية والدفاع عنها والافتخار بها والتركيز على تلك الجهود منذ ظهور المنظمات والأحزاب التي أصبحت تمثل وتتكلم باسمهم في الوقت الذي انتشر فيه التعليم بالفرنسية بين الجزائريين أنفسهم .

رغم أن حزب نجم شمال إفريقيا قد ولد في فرنسا فانه اهتم باللغة العربية في الجزائر اهتماما واضحا فلم تمض سنة على إنشائه حتى نادى في مطالبه التي قدمها باسمه الحاج أحمد مصالي إلى مؤتمر بروكسل سنة 1927 م بإنشاء المدارس باللغة العربية . والمعروف أن النجم قد حلته السلطات الاستعمارية الفرنسية سنة 1929 م غداة الاحتفال المئوي بالاحتلال ، ثم أعاد تنظيم نفسه سنة 1933 م وهو ما يزال في فرنسا ، وقد جاء في برنامجه الجديد الذي صاغه ووجهه للجزائريين بعد أن خرج منها التونسيين والمغاربة ما يلي :[1]

المادة الثامنة : تعليم اللغة العربية تعليما إجباريا ، وجاء في مادة أخرى من هذا البرنامج : اللغة الرسمية في البلاد هي اللغة العربية ، وفي مادة أخرى منه جاء فيها التعليم سيكون مجانا وإلزامي في جميع مراحله وسيكون باللغة العربية .

وقد تكون حزب الشعب الجزائري على أنقاض النجم سنة 1937 م وأثناء مؤتمره العام الذي انعقد خلال أوت 1938 م طالب حزب الشعب بما يلي حول اللغة العربية :

– إصدار مرسوم يجعل تعلم اللغة العربية إجباريا في جميع مستويات التعليم على غرار الوضع في تونس و المغرب والمشرق العربي أيضا.

1 أنظر مشكلة العروبة في الجزائر ،محاضرة للشيخ البشير الإبراهيمي في ندوة الأصفياء -دار مصر للطباعة ، 1955.م ،ص 204 .

– الحرية المطلقة للتعليم الحر . والمقصود بالتعليم الحر هنا هو التعليم العربي الذي كانت تمارسه جمعية العلماء ، والذي كان يتعرض لاضطهاد إداري قاسي مثل قرار ميشيل 1933 م. والمعروف أن السلطات الفرنسية كانت تعتبر اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر وتجري عليها قوانين اللغات الأجنبية في فرنسا. لذلك يعتبر المطلب الثاني لحزب الشعب ليس فقط مطلبا شرعيا ووطنيا ولكنه منه انتصار لسياسة جمعية العلماء التعليمية.

– تأسيس كلية للآداب بجامعة الجزائر تدرس فيها اللغة العربية و الآداب العربية إلى جانب التاريخ وعلم الاجتماع و الفلسفة الإسلامية

– رفع مستوى الثانويات الإسلامية (أي المدارس الرسمية الثلاث) بتحويلها إلى جامعات إسلامية يقوم بتدريس العربية فيها و آدابها أساتذة مسلمون والإلحاح على الأساتذة المسلمون في هذا الصدد يرجع إلى أن الدراسات العربية الإسلامية في المدارس الحكومية الثلاثة وفي كلية الآداب وفي معهد الدراسات الشرقية الذي أنشئ خلال الثلاثينيات كانت كلها تحت إشراف المستشرقون الفرنسيين وهم الذين كانوا يسيرونها ويوجهونها ويمارسون التدريس فيها .

وقد سارت حركة انتصار الحريات الديمقراطية التي تأسست 1966 م التي هي في الواقع استمرار لحزب الشعب الجزائري على الأسس المذكورة بالنسبة للغة العربية. وكان هذا الحزب نفسه قد أنشأ سنة 1937 م جريدة الشعب بالعربية الفصحى في الجزائر إلى جانب الأمة التي كانت تصدر بالفرنسية في فرنسا ، أما حركة الانتصار فقد أسست بدورها صحفا باللغة العربية تابعة لها و نوحي منها مثل المنار والمغرب العربي وصوت الجزائر إلى جانب الجزائر الحرة التي كانت تصدر بالفرنسية حتى كان أعضاء الحزب متشبعين بمبدأ المطالبة باللغة العربية كلغة وطنية ورسمية للجزائر . ومن جهة أخرى أسس حزب الشعب مدارس حرة على غرار ما فعلت جمعية العلماء لتعليم اللغة العربية لأبناء الشعب الجزائري.

الفصل الثاني: الواقع اللغوي الجزائري.

- واقع اللغة في المجتمع الجزائري
- ضعف اللغة
- الازدواجية
- التعريب

واقع اللغة في المجتمع الجزائري

لو ألقينا نظرة بسيطة عن واقع اللغة في المجتمع الجزائري سنكتشف جملة من الميزات التي تظهر على هذا الواقع، ويمكن أن نخلص إلى بعض هذه الملاحظات في النقاط التالية قبل الحديث عن كل لهجة أو لغة على حدي:

1 – يمكن تمييز أربع أنساق لغوية منتشرة في المجتمع الجزائري بدل اثنان ، وهي : اللغة الفرنسية – رغم أن انتشارها يخص بعض الدوائر الضيقة وبعض القطاعات الإدارية – اللغة العربية الفصحى ، اللغة الأمازيغية وفق تفرعاتها الجهوية ، واللهجة الدارجة .

2 – بالنسبة للسان الأمازيغي فهناك إشكال عالق في أوساط علماء اللغة و اللسانيات في الجزائر، وهو الجدلية القائمة بخصوص ما إذا كان يتوجب تصنيف هذا النسق اللغوي في خانة اللغة ، أو تصنيفه في خانة اللهجة بسبب افتقاره إلي نظام رمزي هجائي وقواعد نحوية وصرفية موحدة بين جميع مستخدمي هذا النسق على المستوى الوطني ، لذلك يرى البعض أنه مجمعة من اللهجات المحلية .

3– بالنسبة للهجة العامية الجزائرية ، فهي مزيج هائل مستمد من العربية الفصحى والأمازيغية و الفرنسية وحتى بعض الرواسب اللغوية التركية ، فهي أكثر نسق يمكن لنا الخروج منه بملاحظات كثيرة وبعض هذه الملاحظات :

أ– يلاحظ أن التراكيب اللسانية العامية المستمدة من اللغة الفصحى قد تم تحويرها على مستوى النطق عن طريق الحذف بشكل خاص، مثلا:

تحوير كلمة " يستقصي " (يسأل ويبحث) إلى " يسقصي"

ب– بالنسبة للتراكيب المستمدة من الفرنسية فقد تمت قولبتها لتماشي اللسان الجزائري العامي، ولو أمعنا الملاحظة في بعض الكلمات العامية سنجد أنها من أصل فرنسي تمت إعادة صياغته علي الأوزان اللغوية العربية، مثلا:

كلمة " كابيه" الفرنسية (كراس) قد اندمجت تماما في الدارجة الجزائرية بعد أن تغير نطقها قليلا عن أصلها ، كما صار جمع هذه الكلمة على وزن عربي خالص " كابيات " ...

ج– كما تأثر اللسان الأمازيغي باللغة العربية الفصحى وأخذ منها الكثير من التراكيب والمصطلحات ، فهو نفسه أعطى الدارجة الجزائرية الكثير من التراكيب والعبارات مثلا :

يقال عادة عن الرجل الشهم في المجتمع الجزائري بأنه " ذرغاز" وهي عبارة أمازيغية من أصل " أرغاز " التي تعني الرجل أيضا ، إضافة إلى بعض التراكيب اللغوية القديمة المستمدة من التواجد التركي بالجزائر ، مثل عبارة " بقشيش " ذات الأصل التركي التي تعني في المفهوم الجزائري " الرشوة ".

د- بسبب الشساعة الجغرافية للجزائر واختلاف أنماطها المعيشية و الثقافية باختلاف مناطقها ، فالدارجة الجزائرية نفسها تختلف بأشكال طفيفة أحيانا ومتفاوتة أحيانا أخرى بحسب تقارب المناطق من بعضها أو العكس ، سواء على مستوى التراكيب أو المضامين أو على مستوي النطقي و الصوتي ، فمكان الغرب الجزائري مثلا لهم فنونومات (النغمات الصوتية) مختلفة من فنونومات سكان الشرق حتى في التراكيب و العبارات المشتركة

1 – واقع اللهجات المحلية في المجتمع الجزائري :

يتخاطب أفراد المجتمع الجزائري على اختلاف مستوياتهم الثقافية بلهجات محلية تختلف من منطقة إلى أخري وتصنف حسب متكلميها إلى عامية عربية ولهجات أمازيغية .

ا- **العامية :** العامي من الكلام ينسب إلى العامة وهو كلام الناس أو أحاديثهم العادية" [1] العامية في الجزائر هي ما يعرف بالدارجة الجزائرية ، وهي مستوى تعبيري يتخاطب به أفراد المجتمع في حياتهم اليومية ، فهي لغة التواصل في الأماكن العامة والخاصة علي حد سواء ولقد طغت العامية في الواقع اللغوي في الجزائر على العربية لأسباب عدة أهمها امتيازها باليسر والتحرر من قيود الإعراب والأصوات المتناثرة فهي بسيطة إضافة إلى الفاعلية فالعامية تؤدي وظيفتها الرئيسية ألا وهي التواصل بين مختلف الطبقات التي لا تعير اهتماما بالكيف بقدر ما تهتم بالتبليغ وأيضا الجهل باللغة العربية الفصحى إذ أن أغلب المتحدثين بالعامية في الجزائر هم فئة لم يسعفها الحظ في الالتحاق بمقاعد الدراسة بسبب سياسة الاستعمار الفرنسي .

" نتبين أن محاولات إحلال اللهجات العامية مكان اللغة العربية اقترن بظاهرة استعمار الدول العربية ، حيث ظهر فريق من المستشرقين الذين حاولوا بكل الوسائل التقعيد لهذه اللهجات لتحقيق غايتين : الأولى إضعاف العربية التي ترتبط بالهوية والعقيدة معا ، والثانية الفصل قدر الإمكان بين الدول العربية التي تعد اللغة العربية أحد مقومات وحدتها وترابطها ". [2]

أما عن دور الإعلام والصحافة: مما لاشك فيه أن ظاهرة العاميات أصبحت منافسة غير محمودة للفصحى لاسيما في مجالات الإعلام، وعلى شاشات القنوات الفضائية، وفي المسلسلات، وحتى في بعض الإبداعات وهذه بعض الأمثلة:

نقدر نجوز رمضان بلا حمود بوعلام (إشهار في التلفزيون والصحف)

– نجمة ديما معاكم (في التليفزيون و الصحف)

أما دور الكتّاب والروائيين : الملاحظ أن الكثير من الكتاب يلجؤون في كتاباتهم إلى توظيف العامية بشكل لافت للانتباه خاصة في الحوارات التي تجري غالبا بين شخصيات عامة من

1 أحمد محمد معتوق ،نظرية اللغة الثالثة ،دراسة في قضية اللغة العربية الوسطى ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء المغرب ،ط1 ،2005 ،ص 17.

2 محمد صالح الجابري ،الفصحى وعاميتها ،لغة التخاطب بين التقريب والتهذيب ،ص31.

الناس ، بدعوي أن هذه اللهجات أقرب إلى الواقع المعيش وأن اجتنابنا قد يفقد النص طابعه الجزائري

ومن الأمثلة ما نجده في رواية أحلام مستغانمي " ذاكرة الجسد "

أهلا سي خالد – واش راك اليوم ؟ . عسلامة يا سيدي ... عاش من شافك .

ب- اللهجات الأمازيغية : بالرغم من أن سكان الجزائر الأصليون اعترفوا بالعربية لغة فحملوا لواءها عبر العصور ، إلا أنهم لم يتنكروا للغتهم الأم الأمازيغية بمختلف لهجاتها ، التي ليزالون يتكلمونها في عدة مناطق من القطر الجزائري : القبائلية ، الشاوية ، الميزابية ، الطارقية والشنوية والزناتية وأخرى .

تعد ظاهرة عزوف السكان ذوي اللسان الأمازيغي عن التحدث باللغة العربية الفصحى منطقية بالنظر إلى سبب موضوع هو أن الأمازيغ ليسوا بعرب ، فان كان العرب أنفسهم لا يجيدون التكلم باللغة العربية الفصحى فالأولى بغيرهم أن يتجنبوها .

2 – واقع اللغة العربية الفصحى في المجتمع الجزائري :

اللغة العربية الفصحى ، لغة الضاد هذه الدعامة التي أسست كيان أمتنا فصارت رمزا للهوية الوطنية إلى جانب الدين الإسلامي ، ورثها الجزائريون أبا عن جد منذ أن وطئت أقدام المسلمون الفاتحين شمال إفريقيا ، وقد كانت تلقن في حلق العلم بالمساجد والزوايا وكذا في بعض المعاهد الدينية .

"لقد اكتسبت اللغة العربية بفضل الإسلام بعدا دينيا، تجلى في كل مظاهر الحياة الدينية عند العرب...فازداد اعتزاز العربي بلغته ... واكتسبت اللغة العربية بفضل تعاليم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، التي تجلت في أحاديثه وشروحه ووصاياه منزلة كبيرة في نفوس المؤمنين".[1]

ولعل ما ساعد على انتشار اللغة العربية الفصحى وازدهارها اهتمام العرب بالأدب شعره ونثره والخطابة ، وعلوم الكلام ، وغيره من الفنون والعلوم الأخرى إلا أن هذا التطور واجهته عراقيل عديدة بدءا بانحصار الاهتمام بالعلم والمعرفة في عهد الانحطاط مرورا بالحكم التركي الذي لم يشجع اللغة العربية ووصولا إلى الاحتلال الفرنسي الذي لم يدخر جهدا لتنسيق العربية بكل ما أوتي من وسائل الترغيب والترهيب .

" أما سياسة الفرنسة فكان قوامها الأساسي هو محاربة الثقافة العربية واللغة العربية محاربة عنيفة وبشتى الوسائل الوّدية والإرهابية ".[2]

---

1 أحمد بن نعمان و آخرون ،اللغة العربية أسئلة التطور الذاتي والمستقبل ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ، لبنان ،ط1أكتوبر 2005 ،ص59 .

2 نازلي معوض أحمد ،التعريب والقومية العربية في المغرب العربي الكبير ،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،لبنان ،ط1 يوليو 1986 ،ص64..

ونتج عن ذالك أجيال تربت على التبعيّة للّغة الفرنسية والنفور من اللغة العربية الفصحى وتراثها بحجة أنها لا تصلح للتعليم بسبب بعدها عن العلوم والتكنولوجيا ومصطلحاتها المعقدة .

" فهي أعجز من أن تعبر عن مستجدات الحضارة ومقتضيات التطور العصري الذي يعتمد بصفة أساسية على العلوم والتقنية...".[1]

إن ما يعجز في نفس مستعمل الفصحى اليوم في الجزائر اضطراره للكتابة بلغة من جهة، و التحدث بلغة أخرى من جهة ثانية، ما ولد فيه ازدواجية لغوية أوقعته في حرج و حيرة كبيرين، و هذه الازدواجية تعرقل اكتساب اللغة الفصحى و استعمالها بصورة فاعلة.

يسهل الإحساس بهذه الازدواجية في كل مصلحة إدارية أو هيئة رسمية ، و حتى في المؤسسات التعليمية ، و لنضرب مثلا حال المتعلمين الذين يعجزون عن متابعة الدروس المقدمة باللغة العربية الفصحى ، إذ يستعملون عامية ممزوجة بألفاظ فرنسية هجينة .

" فلم يعد غريبا في هذا الواقع أن ترى قسما للدراسات العربية يظم إلى أعضائه أساتذة غير متمكنين من أداء دروسهم باللغة على النحو المطلوب ".[2]

أما في المصالح الإدارية فالموظف يتفادى التخاطب باللغة العربية الفصحى، و يفضل عليها اللغة الفرنسية اعتقادا منه أنها أصلح للتواصل، و أسرع في تبليغ المعلومة للمواطن.

إن العداء للعربية و رفضها لم يقتصرا على المثقفين وحدهم بل مس الأميين أيضا فصاروا يبذلون جهدا لتجنب الكلمات العربية ، فيخلطون كلامهم بكلمات فرنسية بالرغم من معرفتهم مقابلها بالعربية و الأدهى من ذلك كله انتقال عدوى تجنب اللغة العربية الفصحى إلى النخبة من الجامعيين و القضاة والإعلاميين .

في الجامعة :

إن الطالب الذي يلتحق بالجامعة و قد تلقى تعليمه الابتدائي و المتوسط و الثانوي باللغة العربية طوال اثنتي عشرة سنة تكفي كي يكون لسانه طليقا وكلامه حذقا، نجده فقد ثقته في ثقافته و تراثه ، بسبب عزوفه عن القراءة و المطالعة فان الجزائريين بصفة عامة لا تهمهم القراءة ، أما المثقفون منهم فهم يفضلون المطالعة باللغة الفرنسية و إذا نظرنا إلى واقع اللغة العربية الفصحى في تواصلهم داخل الجامعة فنجد أن البعض يتواصل داخل قاعات الدرس بالفصحى . نتيجة إجبارية استعمالها من طرف الأستاذ ، و إضافة إلى عدم تمكن الكثير من الطلبة ذوي اللسان الأمازيغي من العامية و ألفاظها عكس اللغة العربية الفصحى التي ألفوها منذ الصغر ، البعض الآخر من الطلبة يستعملون العامية بصفة مطلقة و هذا ما يدل على منافسة

1 أحمد بن نعمان و آخرون ،اللغة العربية أسئلة التطور الذاتي والمستقبل ،ص11.
2 أحمد محمد معتوق ،نظرية اللغة الثالثة ،دراسة في قضية اللغة العربية الوسطى ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء المغرب ،ط 1 ،2005 ،ص 17 .

العربية الفصحى في عقر دارها و تعبر بوضوح عن تراجعها ، أما بالنسبة للأخطاء النحوية و الأسلوبية فإننا نجد محدودية الكثير من الطلبة في توظيف القواعد النحوية و الصرفية في حياتهم اليومية بعيدا عن الجامعة

و في الحقيقة إن واقع الجزائر الإعلامي و الاشهاري هو الذي لم يعط للعربية الفصحى مكانة لائقة، و لم يعرها اهتماما مما أثر في ميول الطلبة في مسألة تفضيلهم العامية و اللفظ الأجنبي ، فلا نكاد نرى صحيفة تورد جملة فصيحة دون كلمات دخيلة أو محطة تلفزيونية تذيع مادة إعلانية سليمة اللغة – إن استعملت اللغة العربية الفصحى بسبب عدم وجود بديل .

في وسائل الإعلام :

إن وسائل الإعلام على الرغم من دورها الايجابي في التبليغ بعيدة في معظم الأحيان عن التقيد بقواعد اللغة العربية، رغم وفرة كل الإمكانيات المادية والتقنية فنادرا ما نجد قناة تلفزيونية جزائرية على وجه الخصوص ، يتجنب فيها الإعلاميين الأخطاء الشائعة التي صارت ترتكب بالجملة ، فامتدت رقعتها إلي أبسط قواعد النحو والصرف ، نذكر علي سبيل المثال تسكين المتحرك في وسط الجملة كالمضاف والمضاف إليه والموصوف وصفته والاسم والضمير المتصل به كما يشير المثال الآتي " وقد وصل فريق كرة القدم الجزائري إلي مطار الجزائر – والصحيح هو وقد وصل فريق كرة القدم إلي مطار الجزائر .

"إن الصحافيين ضلعا كبيرا في تردّي اللغة العربية ، وهذا من خلال ما يسمع أويقرأ في وسائل الإعلام من لغة ركيكة منحرفة عن أصولها ، ومن إسفاف مبتذل في خصائص اللغة ، ومن عدم التحقيق في بعض القضايا اللغوية التي جعلتهم يحرفون العربية أيما تحريف ...".[1]

في المسجد :

المسجد مؤسسة دينية تعتمد على اللغة العربية الفصحى أساسا لتوصيل رسالة ديننا الحنيف عقيدة وشريعة ومعاملات ، يعيش حالة يندى لها الجبين من كثرة الأخطاء اللغوية التي يقع فيها جل الأئمة على كراسي الدعوة ومنابر الخطاب ، ولو لاحفظ الله كتابه لشاب كلامه اللحن والغلط لاسيما أن أكثرية الأئمة ضعيفوا التكوين اللغوي حيث تمنح لهم إجازات حفظ القرآن الكريم و ثم تعطى لهم مباشرة وظيفة الإمامة في المساجد دون التركيز على الإلمام بقواعد النحو والصرف، مما يجعلهم غير مبالين بما يرتكبون من أخطاء وفي كثير من الأحيان غير واعين ولا مستعدين نفسيا لمخاطبة الناس بهذه اللغة التي صارت لهم عقدة .

1 أحلام بالولي ،واقع اللغة العربية من خلال اللافتات الاشهارية وإشارات المرور ،مذكرة شهادة ليسانس، 2010 - 2011

3 – واقع اللغة الفرنسية في المجتمع الجزائري :

تسيطر اللغة الفرنسية على واقعنا اللغوي ليس في خطابنا وتواصلنا اليومي بل حتى في أذهان وعقول الكثير من الجزائريين الذين يعشقون الفرنسية إما بسبب تكوينهم التعليمي في المدارس الفرنسية إبان الاحتلال الفرنسي ، وهؤلاء من فئة الكهول والشيوخ وإما بسبب انسياق الشباب خلف الحضارة الغربية ، وتوجه الشباب نحو اللغة الأجنبية طوعا لتأثرهم بما يحيط بهم من مغريات وقد بنت فرنسا مجدها بسواعدها وفي عقر دارنا .

بمحاولة القضاء علي العربية الفصحى بشتي الوسائل ومختلف الأساليب للحد من تعلمها وانتشارها، وما إن استرجعت الجزائر سيادتها ، حتى ظنّ الجزائريون أنهم أخيرا تخلصوا من التبعية المقيتة للمستعمر الفرنسي إلاّ أنهم اصطدموا بالواقع المرير الذي أملته الظروف السياسية والثقافية للجزائر الفتية والمتمثل في نسبة كبيرة من الجهل والأمية ونخبة مثقفة باللغة الفرنسية وقلة قليلة من تلقوا النزر اليسير من اللغة العربية في الزوايا والمساجد وقد اعتبر الجزائريون الفرنسية بمثابة لغة لابد منها ويمكن اعتبار إدراج مادة اللغة الفرنسية في السنوات الأولى من الطور الابتدائي في منظومة الإصلاحيات إجراء يصب في هذا التوجه وإذا كانت المدرسة هي المحرك الرئيسي لهذه الظاهرة فللأولياء أيضا مسؤولية لا تقل أهمية كون الكثير منهم يفضلون التواصل مع أبنائهم باللغة الفرنسية بدل العربية .

و نتيجة لانفتاح المجتمع العربي على حضارات الغرب و نتيجة للتطورات المتسارعة وما نجم عن استيراد للأجهزة و السلع و البضائع و الكفاءات و الخبرات و المعلومات بمصادرها و تقنياتها المختلفة ، أصبح الإنسان في هذا المجتمع يواجه سيلا عرما من الألفاظ والتعبيرات الاصطلاحية الأجنبية الفرصة الكافية لتستوعب كل ما يطفح به هذا السيل لتعبر عنه بطريقتها وفق نظامها الخاص .[1]

إن تأثر الشعب الجزائري بالثقافات الغربية و خاصة الفرنسية بسبب الغزوّ الثقافي الذي اشتد عليه بعد الاستقلال ، جعله يتخذ من الفرنسية سبيلا للتواصل مع شعوب المعمورة فقد انتشرت في الهشيم منذ ظهور القنوات الفضائية و الجرائد الالكترونية ، فأدت دورا مهما في نشر الفرنسية نظرا لجودة برامجها الثقافية و الترفيهية ، بالإضافة إلى انتشار الصحف والمجلات الصادرة باللغة الفرنسية التي تلقى رواجا لدى المفر نسين.

إن المتجول في أرجاء القطر الجزائري يصطدم بالعديد من اللافتات الاشهارية والإعلانية المكتوبة بالحرف اللاتيني ، و إن حالفه الحظ فرأى لافتات مكتوبة باللغة العربية الفصحى

1 أحمد محمد معتوق ،نظرية اللغة الثالثة : دراسة في قضية اللغة العربية الوسطى ،ص58 .

فسرعان ما يحبط لأن ما هو مكتوب بحروف عربية يقرأ بمنطوق فرنسي (تعيش Vive) (عيش Vie) (صيدلية Pharmacie) مكتوب بالحرف اللاتيني .

المكتوب بالحرف العربي و المنطوق بالفرنسية (كافيتريا Cafeteria) (بيتزريا Pizzeria) .

و لقد ثبت واقعيا أن اندثار اللغة لأمة ما : هو اندثار ذاتها و غياب شخصيتها و حقيقة وجودها ، ولا أدل على ذلك من حال الهنود الحمر في القارة الأمريكية حين غزاهم المهاجرون الأوربيون ، فعملوا فيهم عسكريا و ثقافيا حتى أفقدوهم لغتهم و بالتالي ذاتيتهم و هويتهم الخاصة، و في ندوة " العربية في عصر العولمة " التي عقدت في المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة ، حذّر الدكتور : محمود حافظ رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، من خطورة هذا التوجه إلى المصطلحات الأجنبية حيث قال :" إن هناك مؤامرات تحاك منذ سنوات للنيل من اللغة العربية ، و إن في مصر 250 مدرسة أجنبية تعلم علومها في غياب اللغة العربية تماما إضافة إلى جامعات أجنبية ، و هذا الأمر سيؤدي بعد جيل أو جيلين إلى وجود طبقة اجتماعية لا تنتمي إلى مصر و لا إلى اللغة العربية ، بل تنتمي إلى لغات أجنبية و إلى بلدان تلك اللغات ".[1]

يصاب الجزائريون بنوبات من الارتباك حينما يهمون بالكلام ، و ترجع أسباب هذه المشكلة العويصة إلى المضطربات الناتجة عن التعدد اللغوي مما جعلهم لا يتحكمون في أية لغة من اللغات فبخليط من عربية و أمازيغية و فرنسية يحاولون جاهدا أن يلموا أفكارهم من أجل التعبير عما يودون قوله والملاحظ أن الفرنسية هي اللغة المشتركة بين كل الجزائريين عربا وأمازيغا.

الضعف اللغوي.

إن ظاهرة الضعف اللغوي عموما تعود إلى القرون الماضية، وقد أخذت الظاهرة المنحي التصاعدي في القرن الرابع الهجري وما تلاه من قرون بظهور الشرخ بين علوم اللغة العربية وذلك بفضل العلوم اللغوية بعضها البعض. حيث انفصل النحو عن لصرف ، وتلته بوادر استقلال البلاغة عن النحو ، وحاول بعض العلماء بإعادة اللحم بين هذه العلوم و النحو ، كما ظهرت كتب عالجت تلك الظاهرة من جانبها النظري وحددت مكمن المشكلة في الكثير من القضايا ولكن الدواء المطلوب لم ينل مكانه ، فازداد الفراغ الثقافي ولم يعضد الباحثون والمختصون بعضهم بعضا حيث بقي المحدثون والفقهاء لا يعيرون اللغة قيمتها ، وإذا كان هذا في القرن الرابع الذي نلمس فيه الفصاحة إلى حد بعيد ، ونلتقي بالعرب الأقحاح ، فماذا نقول في عصرنا هذا الذي غابت فيه مناويل الفصحى وغاب المثال ، وما عاد موجودا من تؤخذ عنه

1 أحلام بالولي ،واقع اللغة العربية من خلال اللافتات الاشهارية و إشارات المرور ،مذكرة شهادة الليسانس .

اللغة ، وغاب من يوثق في لغته . كما يقول سيبويه : " فالمشكلة اللغوية في العصر الحاضر ازدادت استفحالا وتفاقمت بفعل عوامل كثيرة ، وأصبحت عقدة في اللسان العربي " وقد قسمت عوامل الضعف إلى خارجية وداخلية :[2]

1 – عوامل خارجية: تجمع ما يلي

- ضعف مستوي التلميذ قبل الجامعة
- نظرة المجتمع للغة العربية مهزوزة
- سوء اختيار مدرس اللغة العربية
- شيوع الألفاظ والتراكيب الأجنبية
- أثر وسائل الإعلام وأثر المحيط

2- عوامل داخلية:

- معايير القبول في أقسام الآداب مجحفة
- الصعوبة في الأداء الصحيح
- ضعف تقويم طرائق التدريس
- ضعف تقويم مقررات اللغة العربية
- أثر استعمال العامية
- الأخطاء الشائعة لدى الطلاّب في القراءة والكتابة والمحادثة
- نقص التطبيقات اللغوية
- أثر الجمود الثقافي

والى هذه العوامل ترجع ظاهرة الضعف اللغوي الذي حاول الباحثون إيجاد حلول مقنعة توقف استفحال هذه الظاهرة ولكن بدون جدوى فنحن نجد هذه الظاهرة تزداد استفحالا وبقوة ، وهذا بفعل مجموعة من المعطيات المعاصرة من مثل الإعلام وما يدره من اتصالات ، وما يضخه التواصل من معلومات باللغات الأجنبية ، فبات العالم العربي معولما لم تستطع لغته العربية أن تجد مكانا في بلادها ولا في جنة المعرفة المعاصرة ، فلقد اعتورتنا عواصف الإخلال المدمرة من كل جهة وصوب ونالت فينا المثال الحسن ، وسرنا فيها سير الجمل المقود لا ينظر شمالا ولا يلتفت يسارا وقد نال هذا الأمر فئات من العرب الذين أصابهم العمى

2 صاح بلعيد ،ضعف اللغة العربية في الجامعات الجزائرية ،دار هومة للطباعة والنشر ،الجزائر ،2009 ، ص 13 ، 14

الحضاري باللغات الأجنبية فلم يهتموا بلغتهم فأصبحت العربية تعيش الوضع الكارثي المتدهور.[1]

إن الموضوع يتحدث عن ظاهرة الضعف اللغوي في الأقسام الأدبية على وجه الخصوص، ظاهرة ليست جديدة وان الكارثة عندما نرى هذه الأقسام المختصة تعيش الخطأ على عواهنه، ونجد اللسان العربي معوجا فما دور الأستاذ في هذه الأقسام ؟

فانه علينا القول بأنه من النادر أن يحصل الخطأ في أفواه أساتذة الأدب، ولكن علينا رفع الحرج بأن هذا الأستاذ النموذج المثالي لا يدرس بالفصحى إلا قليلا ، إلا جانب أن أساتذة هذه الأقسام يفترض فيهم الإجادة والتلقين و الاستعمال الجيد للعربية ، ولكن الظاهرة تتدهور أكثر عندما لا تسع اللغة العربية إلا عند أساتذة المحو العربي أو عند مدرسي أصول النحو . وكأنّ أمر النطق اللغوي الصحيح ليس مسؤولية المدرسين الآخرين فهم مستثنون من الاقتداء بالقواعد الصحيحة ، بل ويعجزون حتى التفريق بين همزة الوصل والقطع ... الخ وهي كوارث كبيرة

لفت الانتباه إلى الواقع المشوش والمؤلم للغة العربية وهي من أعظم الخصائص التي تميز شخصية الأمة العربية و وتترجم وجودها وحضارتها وثقافتها ، ومن أسمى مكونات شخصيتنا، فكيف نتساهل في عدم تقويم أخطائنا والتسامح في أصولها تسامحا يؤدّي إلى انتحارها في بعض المقامات وهذا ملا يحدث في اللغات العالمية ، ونجد فيها الجميع حارصين على تصحيح الجانب اللغوي من كل الهيأة التدريسية ، بل ومن المحيط ، وأنت في الشارع ... الخ .

إن استفحال هذه الظاهرة وكان يجب أن تحملنا الغيرة على واقع العربية المتدهور بغية الإسراع في إنقاذها مما يصيبها من ضعف متتال ، ونتنادى إلى ضرورة الإنقاذ الفوري المبني على دراسة واعية ، وتستند مهم الإنقاذ إلى المختصين من ذوي العلم والدين والحصانة ، لتوفير الأمن اللغوي وهو استقرار اللغة العربية على نحو صحيح سليم ، بعيدة عن كل ما يهددها ويبعث بها ، ويهبط بمستواها ، ويكون ذلك بإتباع وسئل وقائية جادة تضمن لها حياتها وبقائها ونقائها.

إن مواجهة الوضع لا يحصل بالرفض المطلق ، ولا بسن القوانين التي لا تنطبق في الواقع ، ولا بضجيج الشعارات الفارغة ، فيحتاج الأمر إلى معرفة أسباب الضعف الذي يؤدي بنا إلى تقديم الحلول الناجحة ، فنحن نشخص ما يقف في طريق اللغة العربية من عقبات ونقدم الدراسات الجادة التي تعمل علي تفعيل آلياتها الخارجية والداخلية من خلال خصائصها اللغوية ، وعلى السياسي فك الأسر عنها ، بأن تنال موضعها اللائق بها كلغة رسمية لها سلطة الاستعمال .

1 صالح بلعيد ،ضعف اللغة العربية في الجامعات الجزائرية ،ص 11، 12

ويبدو من خلال الممارسة أن الضعف اللغوي يعود إلى عاملين أساسيين، وكل عامل إلي محددات فرعية وهي:

1- العامل النفسي:

إن العامل النفسي تجاه لغتنا لهو أشد وقعا من العوامل الأخرى فانه لم تقم نهضة عربية إلاّ بنقلها إلى الواقع التطبيقي عن طريق البحث والممارسة وجعل اللغة تعيش أثارها في حياتنا اليومية ، وذلك بتلقين دروس العربية في نمطها القديم ، ونفخ الروح فيها بالاهتمام بتنمية المهارات اللغوية عن طريق الحفظ و احتذاء المنوال الأصلي ، ومن هنا ينبغي أن نراجع أنفسنا ولا نحاول التشدد وتضخيم المقررات ، ومن واجبنا الترغيب في لغتنا ولا نشك في قدرات الطلاّب أو عدم فهمهم لها ولقواعدها .

2- العامل الاجتماعي:

يجب التنبيه في البداية إلى أن العامل اللغوي أقل تأثيرا وتأثرا من العامل النفسي بسبب خضوع كثير من القضايا اللغوية إلى علاج بعد تشخيص الداء ، ومن هنا تسعى الدراسات العلمية المعاصرة بإخضاع اللغة إلى الجانب العلمي بإرادة علم اللسان وفي اختصاص اللسانيات التربوية مع ما تحمله من تطبيقات، فهي جديرة بأن تجد الحلول المناسبة لكل إشكال لغوي تعليمي، وتقترح البدائل النوعية لها وفيجب العلم بأن الهدف من تعلم أية لغة هو اكتساب القدرة على التعبير الصحيح في التحدث والكتابة بها ، وتنمية القدرة اللغوية بشتى الوسائل التي تغذي اللغة، وتساعد على تذوقها وإدراك الجمال فيها أسلوبا وفكرا. والعربية لغة طرية حيّة استوعبت فنون الآداب ومجمل العلوم .

وفي الواقع يجب علاج المشكلة التربوية كي تعود العربية قوية فصيحة خالية من الضعف.

وينشطر هذا العامل إلى محددات متداخلة، ولها الصفة التربوية والعلمية و وتحتاج بالفعل إلى نظرة أكاديمية بحتة وهي

2 – 1 لغة الأسرة :

نعرف أن مسألة الضعف اللغوي مبدؤه البيت ، فالضعف ليس من الجامعة ، فهناك شبة من الأسباب تساير الطفل من مراحله الأولى حتى يتخرج من الجامعة فالأسرة (الخلية الأولى) التي كان عليها المحافظة على سلامة اللغة العربية ولا نقول الحديث باللغة العربية ، لأن هذا محال وعلى الأسرة واجب تنمية الوعي بأهمية لغة القرآن الكريم ، وغرس محبتها والإقبال عليها " فكتساب اللغة عملية ملازمة لعملية التنشئة الاجتماعية ، لذا فمن البديهي أن الطفل يكتسب في مرحلة نشأته اللهجة التي تتكلمها الأسرة، ومن ثمة يتعلم اللغة العربية القياسية، وهي

مرحلة تالية للهجة بعد تمكن نظامها في ذاكرة الطفل وينشأ من ذلك صراع بين نظام اللغة ونظام اللهجة ، ومن هنا تأتي ازدواجية اللغة (فصيحة وعامة) ."[1]

2 – 2 – لغة المدرسة – الجامعة :

إن المدرسة هي العتبة الأساسية في لغة الطفل ، وهي التي تعمل على صقل التجارب اللغوية ، وترسيمها في ذهن الطفل . و إن واقع مدرستنا لا يبشر بالخير اللّهم إذا تغيرت المعطيات ، فنطمح من المدرسة المحافظة على الأصول ، مع تسريع عملية التغيير في إدخال الجديد بناء على منوال صحيح والمدرسة هي اللغة الأم . و هي الحياة الأولى للغة ومن أساليبها تتغذى الجامعة . و انه لا يمكن الحديث عن المدرسة و الجامعة دون الحديث عن المحيط العام ثم يأتي جانب الإصلاحات التربوية التي تعرفها كل المنظومات في العالم .

2 –3 المحيط:

إن المحيط الدور التكميلي لما يسمعه في البيت وما يتلقاه في المدرسة و الجامعة.

وسائل الإعلام و أثرها في الأداء اللغوي :

تتميّز الصحافة عن باقي أجهزة الإعلام بتلك العملية المستمرة في كل يوم و هي عملية التفاعل بين المجتمعات ، و كذا تعرف بالسلطة الرابعة و التي هي سلطة الإعلام بمختلف وسائله المقروءة والمسموعة و المرئية مما نقرأه أو نسمعه أو نشاهده في الصحف و الإذاعة و التلفاز ، و قد أضحت هذه الوسائل من أعنى الأسلحة التي تستخدمها الدول الكبرى لبسط نفوذها على العالم في ظل الأحادية القطبية، حيث أصبح الإعلام يشكل الإرهاصات الأولى لأي تغيير في العالم لصناعة الرأي العام العالمي ، فأصبحنا نعيش الحرب الإعلامية كإستراتيجية جديدة . وقد أصبح من الضروري بامكان ايلاء العناية والاهتمام لوسائل الإعلام لتأدية مهامها على الوجه الأكمل ، و دفع الأمة إلى الرقي الحضاري و تحطيم قيود الجهل و التخلف ، وفق قواعد التواصل المتعارف عليها ، التي تفرض لغة راقية سليمة ، لغة تفاهم مشتركة يتلافى بها المجتمع ، لغة تعانق الوسائط الإعلامية فتنتج لنا روحا علمية جديدة رائدة ، وفضاءات علمية راقية تتسلل إلى الجماهير من خلالها و تنفذ إلى أعماقهم بفضل هذه الوسائل الحضارية الحديثة التي نختصرها اليوم في وسائل الإعلام قد استجابت في ظل الظروف الراهنة إلى دعاة العامية ، و شاعت تسود بها صفحات الجرائد اليومية و الأسبوعية و البرامج الايذاعية و التلفازية ، في وقت أصبحنا نرى فيه بالمشاهد الهجمات الحاقدة على العربية الفصحى ، و من العجيب أن الدعوة إلى العامية استطاعت أن تجد صدى واسعا في وسائل الإعلام

1 عبد المحسن بن فراج القحطاني ،أثر المجتمع والأسرة في الازدواج اللغوي بين الفصحى والعامية ،مجلة بحوث ندوة ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية ،المجلد الأول ،منشورات جامعية الإمام بن مسعود الإسلامية ، الرياض ،1997 ،ص 84.

التي تقتحم كل مكان من المسلسلات و الروايات و المحاضرات و الندوات التي تذاع عبر هذه الوسائط فقد ادعى خصوم العربية الفصحى حينما دعوا إلى العامية بديلا عنها ، إن دعواهم قائمة على حجج بينة ، و هي تبدو لأول وهلة كذلك :" حتى ليظن كثير من الناس أن مقصد الدعاة حسن يريدون من دعوتهم الشعب ، فهم يريدون اتخاذ العامية لغة الشعب حتى يفهم الأدب و الفنون لأن الأكثر هو الشعب أما متخذوا الفصحى فشواذ ، و الشاذ لا يذهب بالحق كله بل لا حق له بجانب حق الشعب "

الازدواجية

الازدواجية اللغوية هي القدرة على استعمال نظامين لغويين مختلفين فالشخص الجزائري يستعمل (اللغة العربية الفصحى واللغة الفرنسية) أو (اللغة الأمازيغية والفرنسية) أو (الأمازيغية والعربية الفصحى) من أجل التواصل مع غيره وبهذا فالفرد الجزائري متعدد اللغات، وذلك راجع إلى تعدد اللغات المتعايشة في المجتمع الجزائري .

ودائما فيما يخص الازدواجية ننقل لكم هذه الفقرة للسيد مساعديه رحمه الله والذي يبين فيه عدم لزوم الازدواجية التي تضر بمقومات الشخصية الوطنية : "أمّا الازدواجية ، فإننا نبدأ بالتساؤل عن المقصود منها والإلحاح عليها من قبل البعض و فإذا كان المقصود منها الإيحاء بعجز اللغة العربية عن أداء دورها الوظيفي في جميع مجالات الحياة فان النقاش في هذا التحفظ أو هذا الاتهام الذي تجاوزته الأحداث يصبح نوعا من السفسطة . أما إذا كان المقصود اكتساب وإتقان لغة أجنبية أخرى و تمكين ذو الثقافة العربية من الانفتاح على الخارج فنحن لسنا من الازدواج فقط وانما نحن من أنصار التعدد ولماذا نقصر هذا الازدواج على اللغة الفرنسية وحدها ، فالجزائر اليوم لها علاقات واسعة مع العالم أجمع وبهذا الاعتبار فإننا يجب أن نهتم لا باللغة الفرنسية فقط وإنما باللغات الأخرى الانجليزية والاسبانية ... والاهتمام بهذه اللغات يجب أن يتم في مرحلة لاحقة من التعليم ولا ينبغي أن تعامل على قدم المساواة مع اللغة العربية ولكن لو حللنا هدف الازدواجية في إطارها المحدود ، لوجدنا أنه لا يخرج عن طريق مقاسمة اللغة العربية لسيادتها في عقر دارها ، وترسيخ التبعية الثقافية التي نعمل للتخلص منها ." [1]

و بالرغم من الجهود البذولة والإيحاءات المحققة في مجال استعمال اللغة العربية فان التعليم ما زال يعاني بعض العوائق وبخاصة ظاهرة الازدواجية اللغوية التي أسهمت في الحد من انتشار اللغة العربية وحسن استيعابها من قبل الطلاب ، الذين أصبحوا يعانون سوء التحصيل وضعف المقدرة اللغوية .

1 عفاف عنيبة ،اللغة العربية في الجزائر ...بين الوجود والتغييب.

وإذا كنا نسلم بوجود هذه الظاهرة اللغوية غير المتكافئة فإننا نرى أنها لاتعدو أن تكون ازدواجية لغوية قائمة على أساس غير سليم ، حيث لم تمنح حق تكافؤ الفرص للغتين العربية والفرنسية الذي بموجبه تصبح اللغة العربية لغة العلوم الإنسانية . [1]

ومن هنا نقول : إذا كانت هذه الازدواجية اللغوية ينظر إليها بتفاؤل بما تفتحه من قنوات لغوية أسهمت في إثراء الوضع اللغوي عامة والرصيد اللغوي للعربية وجعلها أكثر استيعابا للمصطلح العلمي خاصة مما مكنها من امتلاك أدوات إنمائية متعددة جعلها أكثر ليونة وتجاوبا مع متطلبات العصر ، فان هناك من يعتقد بأنها تشكل خطرا يتهدد مستقبل اللغة العربية ، ويجعلها أكثر تقوقعا ، فلا ترقى إلى مصاف اللغات الحية التي تتحكم في التقنية الحديثة بكل سهولة وهو مالا يسمح بقيام تكافؤ لغوي ، ولذا يجب الحد من أثارها السلبية حتى تهيئ الأسباب الموضوعية لتمكنها .

التداخل اللغوي بين العربية الفصحى و العامية :

تعتبر الازدواجية اللغوية التي تربط اللغة العربية الفصحى و الدارجة الجزائرية من الازدواجيات المعروفة في الأدبيات السوسيولسانية متسمة بالتكامل و الإقصاء .

فمن واقعنا اللغوي الجزائري تظهر العربية الفصحى – الكلاسيكية – حسب أراء الباحثين مخصصة للاستعمالات الشفوية المقولية كما هو الحال في الأخبار التلفزيونية .[2] أما الدارجة الجزائرية فهي لغة الاستعمال اليومي في المجالات المتسمة بالحميمية ، خاصة في الوسط الأسري كما تستعمل في مجالات الآداب الشفوية الشعبية .

كما يظهر أن العربية المحلية (الدارجة) ممارسة من طرف الأغلبية الساحقة فهي حاملة للقيم المجتمعية و حاضرة في المشهد اللغوي الجزائري في كل زمان و مكان ، هذا ما أكد عليه كثيرون مثل عبد الوهاب مازولي :" إن العربية المحلية هي لغة الموسيقى الوطنية و الشعبية و المسرح ".

فبغض النظر عن كونها لغة معترف بها كلغة رسمية فهي مرتبة في أسفل الهرم اللغوي ، يضيف من جهة أخرى أن اللغة العربية مزودة بمكانة رسمية فهي بذلك قيمة بامتياز ، في حين اللغة المحلية مزودة بمكانة رمزية رغم تداولها أكثر في الخطاب اليومي العائلي و المحلي.[3] من هنا فهي تكتسب طابع اللغة الوضعية .

---

1 فاسي الفهري ،مكانة اللغات في الواقع السوسير لغوي الجزائري ،مجلة ،اللسانيات ع6 ،الجزائر 2008 ، ص213

2 المرجع السابق ،ص 213.

3 العشاشي خديجة ،التعدد اللغوي الجزائري ،مذكرة لاستكمال متطلبات شهادة الليسانس ،2010 ،2011 .

و كما سلف الذكر للمستوى الثالث الناتج عن تفاعل الفصحى و العامية ، لابد من الإشارة الى بروز لغة عربية ثالثة ألا و هي العربية الجزائرية الوسطى و هي باختصار لغة تأخذ خصائصها المعجمية من الفصحى ، و خصائصها الصوتية المورفو تركيبية من الدارجة الجزائرية ، و تستعمل أساسا من طرف طبقة لها مستوى دراسي معين . خاصة منهم المختصين في الكلام من أساتذة و مسؤولين إداريين وسياسيين ، و ذلك في المجالات شبه الرسمية (خطب سياسية ، و ثقافية ، مناقشات عامة ، استجوابات تلفزيونية بين الزملاء داخل الإدارات ...) في هذا الوقت ظهرت معارضة شديدة لهذا القانون المعدل من طرف بعض جماعات الضغط و طالبوا الرئيس بوقف مشروع التعريب و تأجيله ، ووصل بهم الحد إلى أن يطلبوا من الرئيس تحمل مسؤولياته للإقدام على تعطيل القانون الذي وقعه بل إلغائه مع المطالبة في نفس الوقت باعتبار الأمازيغية لغة رسمية و مقوما ثالثا للهوية الجزائرية .

و مع هذه الضغوطات المفروضة و غيرها إلا أن بعض الرجال الأشداء من صناع القرار في السياسة و السلطة دخلوا بالقانون إلى حيز التنفيذ و لو بجزء معتبر مثلما فعل الدكتور بوعلام بن حمودة الذي و رغم كل المعاناة قام بتعريب وزارة العدل حين وصل هناك و هذا بعدما عرّب الحالة المدنية وبطاقات الهوية و غيرها حين تولى وزارة الداخلية و بقدر ما يعني موقف هذا الوزير دور الرجال كأفراد في الفعل في مواقع القرار التنفيذي و التشريعي فانه يعني من زاوية أخرى دور الصرامة في سياسة الدولة لتطبيق القانون بقوته الرادعة ماديا و قانونيا ، و حين تغيب هذه السياسة تبدأ نذر الاستهتار بالدولة و قوانينها و هذا واحد من عوامل التفاعل في المشكلة الثقافية في الجزائر.[1]

التداخل اللغوي بين العربية و الأمازيغية :

إن التعايش ما بين اللغات و اللهجات في الجزائر أدى كما هو معروف إلى التأثير المتبادل هذا الأخير تجسده الاستعارات الآتية من اللغات الفرنسية التي تارة تكون أمازيغية يغلب عليها الطابع الأمازيغي.[2] إذ نجد في الخطاب الأمازيغي عبارات فرنسية منطوقة بالأمازيغية فعلى سبيل المثال كلمتي :" أجدرمي " و" أبدون " مستعارتان من الفرنسية ، يأخذان فنولوجية أمازيغية ، و لكن يبقيا مشخصين كتعبيرين فرنسيين و هكذا تظهر الاستعارة من الأرصدة اللغوية فكثير من المفردات الفرنسية تستعمل في الخطاب اليومي بفونولوجية عربية أو أمازيغية، و هكذا فالاتصال المتواصل بين الفرنسية والعربية من جهة و الفرنسية و الأمازيغية من جهة أخرى يظهر التداخلات و الاستعارات من الفرنسية إليهم .

1 بن قينة عمر ،المشكلة الثقافية في الجزائر ،التفاعلات و النتائج ،د ط ،الجزائر ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،ص 61 .

2 قاسي الفهري ،مكانة اللغات في الواقع السوسيو لغوي الجزائري ،ص 214 .

و لأن التداخل اللغوي ظاهرة طبيعية و هو سنة التأثير و التأثر ، و هو سلوك لغوي عادي يمارس على مستوى احتكاك اللغات تعبيرا عن التفاعل الاجتماعي فإننا و في منظور آخر ترى تأثير اللغة العربية على مختلف اللهجات الأمازيغية فمنذ ثلاثة عشر قرنا البرابرة كانوا على اتصال دائم مع العربية، و هذا الاتصال يظهر تأثير العربية على اللهجات البربرية في مختلف المناطق التي تنطق بها لاسيما في مجال المفردات و عليه تأخذ الاستعارات العربية نسبة هامة تتجسد على مستوى المفردات اللغوية أيضا .

في سياق أخر نرى أن القبائلية تطغى في مقام الفلاحة ، و بالخصوص في مسألة الأسماء فنجد أن معظم أسماء الحشائش الأمازيغية صرفية أما في سياق الحديث العام فيحصل خلط بين العربية و الفرنسية و القبائلية و هذا حسب ميل سياق الخطاب ، فان مال إلى العادات فيميل إلى القبائلية ، أما في المنزل الأمازيغي فتطغى الفرنسية لأن القبائلية محدودة و لا تشكل ألفاظها رصيدا علميا . [1]

نأتي إلى الدارجة الجزائرية حيث نلاحظ أنها والأمازغية لا تربطها علاقات حينيتيكية مباشرة ، إذ لم تنحدر إحداهما من الأخرى رغم انتمائهما إلى عائلة لغوية واحدة ، بالنظر إلى الوظائف سوسيو لسانية فليس هناك توزيع تكاملي بينهما فهما معا تستعملان لأدوار تواصلية حميمية ، وكلاهما مغيبتان في المؤسسات الرمزية للدولة (المدرسة ، الجامعات ، الإدارات العمومية) . وتستغلان كوسيلة في مجال الآداب الشعبية وانطلاقا من هذا يصعب أن نميز بين اللغة الرفيعة والوضيعة ، ووجب النظر إلى وظيفتهما التواصلية على نطاق أوسع ، فالأمازيغية بتشكيلاتها الأربع (قبائلية ، شاوية و مزابية ، تارقية) منوعات محلية ينحصر التواصل بها في فضاءات جغرافية معينة ، إذا فان الطابع المحلي للأمازيغية والطابع التوحيدي للدارجة الجزائرية يضفي على هذه الأخيرة طابع اللغة الرفيع وعلى الأولى طابع الوضيع .

العلاقة بين اللغة العربية واللغة الفرنسية :

في الواقع نجد استعمال اللغة الفرنسية في الحياة اليومية قد ترسخ بصورة دائمة في الحقل اللساني الجزائري ، فالشارع ثنائي اللغة ، وتعايش اللغتين (العربية والفرنسية) بارزا في كل مكان وعلى جميع مستويات الحياة اليومية .[2] كما نجد الثنائية أكثر انتشارا على الساحل الجزائري منها في المناطق الداخلية للبلد ، وهي أكثر حضورا في المدن منها في القرى و الضواحي كما أن ممارستها تلقي الإقبال الواسع من السكان التعليميين ومن الفئات الميسورة من المستخدمين بالمؤسسات الخاصة المندمجين في الاقتصاد الحديث من العمال أكثر مما تلقاه من

1أ حلام الجيلالي ،العلاقة بين الفصحى و العامية ،ص 215 .
2 فأسي الفهري ،مكانة اللغات في الواقع السوسيو لغوي الجزائري ،ص215 .

الأميين والطبقات المحرومة من العاملين في قطاعات الفلاحة ، ومن هنا فان الثنائية اللغوية تهتم بالنخبة الحضرية والسياسة والإدارية والثقافية والاقتصادية .[1]

إن الثنائية اللغوية في الجزائر ثنائية شبه رسمية إلا أن الطريقة التي نشأت بها هذه الثنائية وتطورت في الجزائر والمكانة التي حظيت بها . كل ذلك أنتج ثنائية غير متزنة ، ذلك أن التخلي عن الدور الكبير للغة الفرنسية من غير اعقال ضرورة استعادة مكانة اللغة العربية قد يقصد به الدفاع عن سياسة الثنائية (عربية ، فرنسية) ولما كانت الثنائية غير متكافئة كما يرى الباحثون فان هذا يؤدي إلى زيادة ترسيخ اللغة الفرنسية غير أن عدم تكافؤ الثنائية اللغوية لا يتوقف عند هذا الحد بل يعمل أيضا على خلق انقسام بين الأجيال والقطاعات الاجتماعية ، وإحداث تعارض بين المتقنين للغة العربية والمتقنين للغة الفرنسية والواقع أن إتقان اللغة الفرنسية ينظر إليه على أنه مصدر فخر ووسيلة يؤكد بها الفرد فعاليته وانتمائه إلى العصر .[2]

هكذا نلاحظ تنامي ظاهرة استعمال اللغتين بشكل غير متكافئ في نفس الوقت ، سواء في الحياة الاجتماعية أو في الحياة المهنية على مستوى التعبير الشفوي أو الكتابي كما يحرص المتحدث عادة على إثبات اختياره للتعبير بإحدى اللغتين ، و هذا السلوك ينطوي على قدر من المباهاة و لكنه أيضا بالخصوص يسمح بتخطي العقدة ، و من جهة أخرى يكشف هذا السلوك عن حقيقة أخرى هي عدم تمكن الأجيال الصاعدة من اللغتين و هكذا تبقى اللغة الفرنسية هي المهيمنة على القطاعات الحيوية في المجتمع الجزائري فهي لغة الصناعة و الإدارة ، و لغة المؤسسة الاقتصادية ، كما أن فشل تعريب الجامعة الجزائرية و اقتصارها على معاهد العلوم الإنسانية بمقابل بقاء اللغة الفرنسية لغة التدريس في كثير من المعاهد و سيطرتها في الحالات الإدارية و التنظيمية و التعليمية لخير دليل على وجود الثنائية اللغوية (عربية ،فرنسية) في الجزائر التي رسخها التعليم و عززتها السياسة و نشرها في وسائل الإعلام على نطاق واسع بين مختلف الشرائح الاجتماعية .[3]

لقد حاولنا الإحاطة بموضوع الاستعمالات اللسانية الأربعة في الجزائر (عربية و دارجة – آمازيغية و فرنسية) و تبين أن اللغة المستعملة في الخطاب اليومي و الواقع المعاش هي اللغة العربية الدارجة باعتبارها لغة الأغلبية الساحقة تليها اللغة الأمازيغية ، إذ أنهما تستعملان في الاتصال الشفوي (رغم استعمالها المؤسساتي)

الفرد ليس من الضروري أن يكون له ثقافتين حتى يصبح مزدوج اللغة فعلى الرغم من انتمائه إلى ثقافة واحدة فانه يستطيع أن يكون مزدوج اللغة كما أن النمو المزدوج للغة يؤدي و

1 نفس المرجع ص 216.

2 عائشة عبد الرحمن ، العوامل المؤثرة في تحكم الطالب في اللغة الفرنسية مجلة اللغة العربية ع2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 2003 ،ص 66 .

3 نفس المرجع، ص 100، 101.

يسمح للفرد بالتخلي عن هويته الثقافية في المجموعة التي ينتمي إليها ، حيث يتبنى من هذه المجموعة لغة ثانية فعندما يتخلى الفرد المزدوج اللغة عن هويته الثقافية في إطار المجموعة التي ينتمي إليها فانه يتبنى لغة ثانية ويصبح بعد ذلك متثاقفا على هذه اللغة فمادام الفرد يريد أن يتبنى ثقافة اللغة الثانية و لم يدرك ذلك ، فذلك يؤدي إلى استحالة التمييز أو أن يبين لنا لأي ثقافتين ينتمي أينتمي إلى الثقافة الأولى أم إلى الثقافة الثانية [1].

التعريب :

يعرّف المعجم الوسيط التعريب انه " صبغ الكلمة بصبغة عربية عند نقلها بلفظها الأعجمي إلى اللغة العربية." والمقصود هو ما استعمله العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتهم بعد كتابتها بالحروف العربية ، ثم إخراجها بميزان الصرف العربي ، وبفعل الاستعمال تصير كأنها أصلية وهذا ما يبين طواعية اللغة العربية التي تتفاعل مع اللغات فالكلمة تكون أعجمية في الابتداء عربية في الانتهاء .

وقد برز التعريب عند العرب منذ احتكاكهم بغيرهم من الشعوب التي فتحوا بلادها واطلعوا على حضاراتها ، وحدث تبادل التأثير والتأثر بين اللغات ، والعربية ليست بدعا من اللغات الإنسانية ، ولم يجد العرب القدماء في هذا غضاضة بلغتهم التي أحبوها واعتزوا بها وبذلك دخلت العربية ألفاظ سماها اللغويون بالدخيل ولا يمكن نكران أثر هذه الكلمات الدخيلة على العربية إذ أضافت إليها مواد جديدة ساعدتها على التوسع اللغوي وفي العصر الحالي نرى العلم في نمو وازدهار والعصر يجابهنا يوميا باختراعاته وأحداثه ، ووسائل الإعلام تفرض علينا ألفاظا جديدة ، وتارة تعبر بتراكيب تتجاوز النمطية المعيارية و فكان من اللازم على اللغة العربية وضع أسماء عربية لاختراعات العصر ، وتوفير الشروط الخاصة لما يفد إليها من ألفظ بفعل عوامل التحضر وهذا من مهام المؤسسات العلمية العربية التي تحرس على نشر اللغة الفصيحة وإيصالها إلى الناس وتعمل على استحداث الأنماط

اللغوية الجديدة معتمدة على خصائص اللغة العربية .[2]

كما نجده كذلك في الجزائر، إذ أن التعريب فيها غداة الاستقلال بدأت كإرادة سياسية جسدها المرسومين الرئاسيين الأول الصادر في 22 مايو 1964 ويقضي بتأسيس مدرسة عليا للترجمة تتولى تكوين المترجمين والتراجمة ومهمته مساعدة المثقفين باللغة العربية والمتعلمين باللغة العربية و المتعلمين بلغات أجنبية على التفاهم ، و في خطوة تالية تنهض لترجمة تراثنا المكتوب باللغة الأجنبية إلى اللغة الوطنية . و في مرسوم ثاني و يحمل رقم 68 – 92 المؤرخ

1 شهرزاد بوشريط ،ظاهرة الازدواجية اللغوية في المجتمع الجزائري ،مذكرة لسانس ،ص 6 .
2 صالح بلعيد ، اللغة العربية ،آلياتها الأساسية وقضايا ها الراهنة ،ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية بن عكنون،الجزائر ،ص5 .

في 26 أفريل 1968 يقضي بإجبارية معرفة اللغة الوطنية على الموظفين و من يماثلهم و قد أمضاه الرئيس هواري بومدين رحمه الله و العديد من المراسيم الأخرى صدرت لتدعيم نشر وتعلم اللغة العربية على جميع المستويات و قد اشترطت إحدى الإجراءات المشجعة للغة الوطنية أن يحصل كل موظف في الدولة على شهادة السادسة ابتدائي باللغة العربية . لكن أعداء العربية كانوا بالمرصاد لها، فالإطارات المسؤولة التي كانت تقع عليها مهمة التعريب كان بعضها مفرنسا وهؤلاء اعتبروا أن سياسة التعريب إجراء عدائي لهم هذا بالإضافة إلى تقصير بعض الأجهزة في الدولة التي لم تحفز بشكل كاف الموظفين في مختلف الإدارات عانى تعلم اللغة العربية .[1]

ولهذا فقد بقيت جهود التعريب دون المستوى وهذا رغم قانون تعريب التعليم بكافة مستوياته (المتمخض عن مؤتمر التعريب الثاني الذي انعقد في ديسمبر 1973 بالجزائر والذي أشرفت عليه الجامعة العربية الإدارة الثقافية أولا ثم المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة ومن أبرز توصيات هذا المؤتمر توصية يناشد فيها الحكومات العربية جميعا أن تباشر بتطبيق برنامج مرحلي مرسوم لتعميم التدريس باللغة العربية في مراحل التعليم كلها للمواد العلمية والأدبية بدءا من العام الدراسي الموالي أي 1974) إلاّ أن العديد من الفروع الجامعية في الجزائر حافظت علي اللغة الفرنسية كلغة تدريس في الفروع العلمية من رياضيات وطب ، وقد كان المتخرج من الجامعة الجزائرية آنذاك وعندما يجد منصب عمل في القطاع العمومي ، كان يجابه بمطلب مخالف لقانون التعريب ألا وهو إتقانه اللغة الفرنسية واستعمالها لغة عمله وعليه أن يقدم بالإضافة إلى ذلك شهادته باللغة الفرنسية . هذا ولم تصل اللغة العربية إلى لسان الشعب الذي بقي يتحدث عامية يصفها بالعربية ، وما هي بالعربية كونها تتضمن ألفاظ فرنسية وأخرى من اختراع المخيلة الشعبية والتي لاتمت بصلة إلى لغة القرآن . ومن جانب آخر لم يكتفي أذيال الاستعمار في بلادنا من محاربة اللغة العربية في سائر الميادين الحيوية ومحاولاتهم المتكررة والعنيدة في فرض الفرنسية وإدامة وجودها في أرض المليون ونصف شهيد.2

ومن جهة أخرى نجد المؤسسات العلمية التي لكل منها نظرتها نحو عملية التعريب ، لكن أراء المؤسسات جميعها تلتقي في المنطلقات الكبرى ، من الإيمان المطلق بأن اللغة العربية – هي لغة القرآن الكريم – أقوى الروابط التي بقيت تربط بين أبناء الأمة العربية ، وأنها التي صنعت التاريخ الحضاري للعرب والمسلمين وهي التي اتسعت لكل ضروب التفكير الإنساني ، وأن لها مقدرات تمكنها من مواكبة العلوم والمعارف ومسايرة التطور بكم الخصائص الذاتية وأن التعليم باللغة العربية ليس استجابة للمشاعر القومية ، ولكنه استجابة للحقائق التربوية التي

1 عفاف عنيبة ،اللغة العربية في الجزائر بين الوجود والتغييب.
2 نفس المرجع.

أثبتت أن تعليم الإنسان بلغته أقوى مردودا منه بلغة أخرى ، وإذا كان هذا هو شأن اللغة العربية وقدرتها وتمييزها وتاريخها ومكانتها وعاداتها على التعليم بها فانه آن الأوان لتكون هي لغة الحياة العلمية واليومية والإدارية .[1]

وجهود اللغويين والعلميين في كل المؤسسات عظيم ، فقد قدمت اجتهادات فردية وجماعية لضبط عملية التعريب ، وذلك من خلال الندوات واللقاءات . والتي كانت تركز على الجانب التربوي باعتباره عنصرا ايجابيا قابلا للتفاعل مع ضرورات الحياة ، وأن التقدم في المعرفة يبدأ من الميدان التربوي الذي يجب أن يفرض الاستفادة من الإمكانات التي تيسرها للحضارة في ميدان منهجية التلقي .

هناك العديد من المجامع مثل المجمع العربي السوري ، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة ... الخ أسست لخدمة اللغة العربية. وهي التي يمكن أن تقدم الشيء الكثير لهذه اللغة الكريمة ، وقد اجتهدت وعربت كثيرا من الألفاظ ووفقت في بعضها وأخفقت في البعض ، حيث زاحمت المصطلحات الأجنبية المصطلحات العربية فعاشت الأجنبية وبقيت المصطلحات المعربة لا تستعمل إلا عند المتخصصين وعلى سبيل المثال نرى انه لا تستعمل كلمة (مدره) المعربة للفظة (أفوكاتو) وقد طغت عليها لفظة العامة المحامي .

و هناك بعض الألفاظ قبلها الناس لكنها لم تقوى على إزاحة اللفظة الأجنبية ، و هذا بسبب التعريب الذي أخذ المنحى اللغوي البحت ، ولم يكن فيه أي اعتبار للاستعمال و إلا بماذا تفسر موت المصطلحات العربية مثل دار الخيالة كالسينما – المرناة للتلفاز ... الخ و بقاء المصطلحات الأجنبية هي المستعملة. وهذا كله يعود إلى الابتعاد عن التعريب الفني الذي نتحقق فيه كثير من الشروط الموضوعية لقبول المصطلح لفظا و ذوقا.

و هذه الشروط حددها أحدهم بأنها تكون في اللفظ الذي تتحقق عنه الضوابط التالية :

1 – تناسقه مع ألفاظ المستعملة، و موافقته في التلفظ و المعنى و المبنى للذوق العام

2 – أن يكون معناه دقيقا محددا لا غموض ولا إبهام و لا لبس فيه

3 – أن لا يخرج عن الأصول اللغوية من ناحية قواعد الاشتقاق و النحت و القياس.

1 صالح بلعيد ،اللغة العربية ،آلياتها الأساسية و قضاياها الراهنة ،ص 7 .

خاتمة

في ضوء ما سبق يمكن القول بأن الشخصية من أهم المكونات التي تكون الإنسان ، ولكل شخص شخصيته الخاصة التي تخصه هو وحده دون غيره ، أي أنها ذاتية و هذه الشخصية مرتبطة حضاريا و ثقافيا بكيان هذه الأمة الإسلامية التي أعزها الله بالإسلام ، و من أهم مقوماتها اللغة العربية .

وقد مرّت هذه الشخصية بعدة مراحل و عصور كما رأينا منذ العصور القديمة ، إلى العصر الحديث، و لأهميتها حاول الاستعمار الفرنسي منذ أن وطأت أقدامه أرض الجزائر ، حاول بكل الطرق والسبل القضاء على هذه الشخصية المتميّزة

و لارتباطها الشديد باللغة العربية فقد مسّ الاستعمار كذلك هذه اللغة محاولاً طمس معالمها والقضاء عليها بشتى السبل و الطرق إلاّ أن هناك جهودا عظيمة لأسلافنا جابهت هذا الاستعمار محاولة الحفاظ على الكيان العظيم و النعمة التي منّها الله عزّ و جلّ علينا ، و قد أعادت للغة العربية مكانتها ، إلاّ أن هذا الاستعمار استطاع أن يزرع بين الجزائريين الشكوك في لغتهم فحتى بعد خروجه فإن اللغة العربية عانت من ضعف شديد و تهميش و ذلك من النتائج التي آلت إليها عقب خروجه و كذا الحديث بأكثر من لغة ، و انتشار بعض اللهجات كالأمازيغية و العامية و بروز اللغة الفرنسية التي أصبحت تستعمل في كل المؤسسات والإدارة، و تكاد أن تصبح اللغة الأولى في الجزائر بدلاً من اللغة العربية الفصيحة . و من الوسائل التي ساهمت في ذلك و لا زالت إلى يومنا هذا نذكر وسائل الإعلام الذي هو من أهم المؤسسات التي تقع على عاتقها مهمة ترقية هذه اللغة و توصيلها للعالم بشكل مناسب ، من أجل أن تسترجع مكانتها التي تبوأتها قديما ، فلقد وجدنا أنه لم يرتق إلى هذا التحدي الصعب في بلادنا .

و لا يسعنا في ختام هذا العمل المتواضع إلاّ أن نقترح بعض الحلول التي نراها ممكنة التجسيد على أرض الواقع و هي:

- معالجة الواقع اللغوي الحالي بكل الطرق و الوسائل الممكنة كتطوير لغة تواصلية يراوح فيها بين الأصيل و الجديد و فق احترام قاعدة لا إفراط و لا تفريط.
- إنشاء هيئة رسمية بالتنسيق مع المجلس الأعلى للغة العربية الجزائري والمنظمات الأهلية و التنسيق بين مختلف الجهود الأكاديمية و غيرها في برنامج و خطط مدروسة
- التحلي بالإحترافية في استعمال اللغة العربية الفصحى في مجال الإعلام عامة.
- إتباع الدولة سياسة صارمة في تكوين كافة الإطارات و أئمة المساجد ، و معلمي المدارس و أساتذة المعاهد من حيث الرصيد اللغوي ، و إخضاعهم إلى برامج تأهيل ، واختبار في الجوانب المعرفية و اللغوية و التواصلية.

و لعلنا باتّباع هذه الإجراءات نحافظ على تميّز الشخصية اللغوية الجزائرية في كل أبعادها كما رسمها أجدادنا في غير تناقض ولا تنافر مع الواقع .

قائمة المصادر
و المراجع

المصادر والمراجع:

1- أبو الفتح، رضوان القومية العربية ط.2 دار الثقافة سنة 1959

2- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500 1830م ط1 دار الغرب الإسلامي 1998م

3- أحمد بن نعمان ، التعريب بين المبدأ و التطبيق، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1981

4- أحمد بن نعمان ، و آخرون ، اللغة العربية أسئلة التطور الذاتي و المستقبل.مركز دراسات الوحدة العربية بيروت لبنان ط1 أكتوبر 2005

5- أحمد فالق و محمود عبد القادر ،مدخل في علم النفس العام لأنجلو المصرية سنة 1972

6- أحمد محمد معتوق ، نظرية اللغة الثالثة : دراسة في قضية اللغة العربية الوسطى المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط1،2005

7- برنارد توتكلت سيكولوجية الشخصية .ترجمة صلاح مخيمر و عبده ميخائيل رزق،دار الطباعة الحديثة القاهرة

8- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب الجزائري-بيروت-1960

9- رابح تركي-التعليم القومي و الشخصية الوطنية الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1975

10- صالح بلعيد، الهوية الوطنية،دار الأمل للطباعة و النشرو التوزيع،2007

11- صالح فركوس المختصر قي تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين، دار العلوم للنشر و التوزيع

12- صالح مختاري ، أسرار الاستيطان الأوروبي الفرنسي على الجزائر المحروسة،الجزائر،2004

13- صوفي حسن أبو طالب، المجتمع العربي، دار النهضة العربية، القاهرة 1970

14- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي،تاريخ الجزائر العام ج.2 ديوان المطبوعات الجامعية، ط.7،1994

15- عبد الرحمان سلامة، التعريب في الجزائر ماضيا و حاضرا و مستقبلا، وزارة الإرشاد القومي، دمشق،1976

16- عثمان فراح،أضواء على الشخصية و الصحة العقلية، مكتبة النهضة المصرية سنة 1970

17- عمر بن قينة ، المشكلة الثقافية في الجزائر ،دار أسامة للنشر و التوزيع ،ط1 الأردن ، عمان 2000

18- عمر فروخ و مصطفى خالدي، التبشير و الاستعمار في البلاد العربية ،بيروت 1953
19- علي حرب ، حديث النهايات(فتوحات العولمة و مأزق الهوية) ط2 ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب 2004
20- محمد الطالبي، الهجرة الأندلسية إلى إفريقيا أيام الحفصيين في الأصالة
21- محمود حافظ، اللغة العربية في مؤسسات التعليم العام و العالي ، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني ، عمان، الأردن 1988
22- موسى سلامة، البلاغة العصرية و اللغة العربية –مطبعة التقدم ، القاهرة 1964
23- محمد صالح الجابري ، الفصحى و عاميتها لغة التخاطب بين التعريب و التهذيب
24- نازلي معوض أحمد، التعريب و القومية العربية في المغرب العربي الكبير، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان ط1 ،يوليو 1986
25- وينفريد هوبر ، مدخل إلى السيكولوجية الشخصية

المجلات و المقالات:

1- أحمد طالب"ثورة شاملة" دراسة منشورة في جريدة المجاهد الأسبوعية عدد 595 الجزائر في 16 يناير 1972
2- البصائر السنة الرابعة عدد 171 قسنطينة 22 يونيو 1939
3- صفوان المقدمي، اللغة العربية و العصر.مجلة المعرفة العدد 178 ديسمبر وزارة الإرشاد القومي، دمشق 1976
4- عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان مجلة الأصالة ،1975
5- عبد المحسن بن فراج القحطاني، أثر المجتمع و الأسرة في الازدواج اللغوي بين الفصحى و العامية. مجلة بحوث ندوة ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية،المجلد الأول–منشورات جامعية الإمام بن مسعود الإسلامية الرياض 1997
6- عبد الهادي ،أبو طالب أزمة الهوية في نظم التعليم في العالم الإسلامي "مجلة الأكاديمية الرباط1991 مطبوعات الأكاديمية الملكية المغربية العدد 8
7- عفاف غيبة، اللغة العربية في الجزائر بين الوجود و التغيب 2010 الجزائر
8- عائشة عبد الرحمان ، العوامل المؤثرة في تحكم الطالب في اللغة الفرنسية، مجلة اللغة العربية .ع.2 الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر 2003
9- فاسي الفهري، مكانة اللغات في الواقع السوسير اللغوي الجزائري ، مجلة اللسانيات، ع.6 .الجزائر 2008

10- مصطفى محمد الغامري، العربية بين مفهومين ، جريدة الشروق الثقافي ، العدد 6، الجزائر 1993
11- مجمع اللغة العربية بالقاهرة في مجلدين .مطبعة مصر سنة 1960
12- مشكلة العروبة في الجزائر، محاضرة للشيخ البشير الإبراهيمي في ندوة الأصفياء، دار مصر للطباعة 1955

المذكرات:

1- أحلام بالولي، واقع اللغة العربية من خلال اللافتات الاشهارية و إشارات المرور 2011/2010
2- العشاشي خديجة –العدد اللغوي الجزائري 2011/2010
3- شهرزاد بوشريط.ظاهرة الازدواجية اللغوية في المجتمع الجزائري
4- مذكرة لحزب الشعب الجزائري، أصدرها بالقاهرة بتاريخ 22 يونيو 1954

فهرس الموضوعات

❖ مقدمة..... 01
❖ مدخل..... 04

الفصل الأول: روافد تكوين الشخصية اللغوية الجزائرية.

1. بدايات الحضارة في الجزائر..... 19
أ. البربر.....20
ب. الدولة الرومانية.....23
2. العهد الإسلامي..... 25
أ. الدولة الحمادية.....28
ب. الجزائر في ظل الحكم التركي العثماني.....31
3. مشاريع الاستعمار الفرنسي في تشويه الهوية..... 32
أ. الفرنسة.....33
ب. التنصير.....34
4. الجهود الوطنية في الدفاع عن اللغة 38
أ. الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة.....42

الفصل الثاني: الواقع اللغوي الجزائري.

1. واقع اللغة في المجتمع الجزائري..... 45
أ. واقع اللغة العربية الفصحى في المجتمع الجزائري.....47
ب. واقع اللغة الفرنسية في المجتمع الجزائري.....50
2. ضعف اللغة..... 51
أ. عوامل داخلية.....52

ب. وسائل الإعلام و أثرها في الأداء اللغوي.....55
3. الازدواجية..... 56
أ. التداخل اللغوي بين العربية الفصحى و العامية.....57
ب. التداخل اللغوي بيم العربية و الأملزيغية.....58
4. التعريب.....61
❖ خاتمة..... 64
❖ قائمة المصادر والمراجع..... 67
❖ فهرس الموضوعات..... 71